

العزّة الزلّية عنز النى حيان التوحيدى

- 2 -

للأستاذ : عمّار العوفى

ج - الازمة الحضارية والاخلاقية في القرن الرابع الهجري :

من الاكيد أن الازمة الحضارية الاخلاقية التي عرفها القرن الرابع الهجري ذات صلة وثيقة بالمعصير الذي انتهى إليه أبو حيان بعد تجربته الحياتية الطويلة المتقلبة الاطوار، ذلك لان التوحيدى ولئن ضحّى بمبادئه وأفكاره وداسها في بعض الاوقات من أجل بلوغ مراميه وتحقيق طموحاته فإنه لم يكن مستعدا للتنازل عنها في أواخر حياته بعد أن اكتملت رؤيته ونضجت مسيرته.

ولذلك فقد كان التزام أبي حيان بارائه وأفكاره في أواخر أيام حياته بمثابة التحول الذي جعله في قطيعة معنوية وروحية مع معاصريه لانه صار يريد إحياء الدين وبعث صورة زمن الخلافة الأول المشرقة أعتمادا على الفلسفة العقلية والصلاحي الاخلاقي المرتبط بالزهد والتصوف لان الدين عنده مقدّم عنده على العقل المقصور على الغايات لان الانسان : «يكون بالدين متقربا إلى الله تعالى»⁽¹⁸⁾ ومن ثم فلا : «يعترض على ما يبعد في عقله ورأيه من الشريعة وبدائع آيات النبوة بأحكام الفلسفة فإن الفلسفة

(18) : الإمتاع والمؤانسة - الليلة 17 - الجزء 2 - ص : 19-18.

مأخوذة من العقل المقصور على الغاية والذيانة مأخوذة من الوحي
الوارد بالقدرة..»⁽¹⁹⁾.

إلا أن التوحيدي الذي خصَّ الشريعة بالمكانة المطلقة لم يتردد في
القول بالأخذ بالفلسفة العقلية ما لم تتضارب مع الدين وأصوله ومقاصده إذ
أن : «المدار في الحياة على العقل الذي من حرمه فهو أنقص من كل
فقير وعلى الذين الذي عُرِيَ منه فهو أسوأ حالا من كل موسر...»⁽²⁰⁾.

ومن هنا فإن أبا حيان الذي كان يؤمن بفلسفة أخلاقية قوامها الدين
والعقل أو الشريعة الإلهية والذهن البشري الفطري قد انتهى في أواخر حياته
إلى قطيعة مأسوية مع عصره ومعاصريه نظرا لمخالفته إياهم آراءهم
وسلوكلهم علاوة على الانهيار المريع الذي عرفته البنية الأخلاقية والقيمية
للقرون 4 الهجري : «وقد بلىنا بهذا الدهر الخالي من الديانين الذين
يصلحون أنفسهم ويصلحون غيرهم بفضل صلاحهم...»⁽²¹⁾.

ولئن كان أبو حيان قد أدرك هذا التردّي القيمي والسلوكي والاجتماعي
الخطير الذي صار إليه المجتمع العباسي الثالث (334 هـ/447 هـ) فإنه لم
يتردد في تحديد مواقفه الفكرية من تلك الأوضاع الاجتماعية والدينية
والحضارية المتدهورة - رغم عدم التزامه بتلك المواقف في بعض الفترات -
سواء انطلاقا من معاشته المباشرة للأحداث الاجتماعية أو اعتماده لآراء
أستاذه أبي سليمان المنطقي - فقد ذكر أبو حيان مثلا في الإمتاع والمؤانسة أن
المبادئ والقيم قد ديسست وانهارت إلى الحد الذي صار يضحي بها الناس في
سبيل القوت وتحصيل الرزق و«طلب القوت الذي ليس إليه سبيل إلا ببيع
الدين وأخلاق المروءة وإراقة ماء الوجه وكذّ البدن وتجرع الاسى
ومقاساة الحرقة ومضّ الحرمان والصبر على ألوان وألوان والله
المستعان...»⁽²²⁾. كما أن المال قد أصبح مطلب الأفراد يضحون في سبيله

(20) الإمتاع والمؤانسة - مقدمة الجزء 1.

(21) الإمتاع والمؤانسة - الجزء 1 - الرسالة الموجبة لأبن سعدان.

(22) الإمتاع والمؤانسة - الليلة 15 - الجزء 2 - ص 140.

حتى بإرافة ماء الوجه وتدنيس الانفة والرفعة كما يذكر التوحيدى فى كتاب «الصداقة والصديق» الذى ذكر أن أسباب تأليفه هو فساد أخلاق العامة وانعدام الوفاء بين الناس وانتشار الانانية والنزعة الذاتية بينهم.

ولعل المجال الأخلاقى والسلوكى لم يكن لوحده مصدر نقمة أبى حيان وإنما كان المجال الأدبى - على ازدهاره - مجالا تناوله التوحيدى بالنقد والدّرس محاولا بذلك تقديم نظرة متكاملة لمفهوم الأدب ووظيفته المتوازية شكلا ومضمونا بدون السقوط فى اللوع بالبديعيات فى الشكل والمحسنات البلاغية فى الكتابة كما كان شائعا بين أغلب معاصريه من أدباء العصر البويهى على حساب الفكرة والمضمون. ذلك لأن أبى حيان قد أبرز موقفه الأدبى النقدي من معاصريه فى نظريته الأدبية التى توازى وتواخى بين الشكل والمضمون وتوائم بين المعنى والمبنى والتى تعدّ امتدادا لرؤية الجاحظ الأدبية : «ولا تعشيق اللفظ دون المعنى ولا تهو المعنى دون اللفظ وكن من أصحاب اللغة والبلاغة فى جانب...»⁽²³⁾.

ومن هذا الأساس يمكن أن نتبين مقومات الغربة الذاتية عند أبى حيان الذى تفاعلت تجربته مع ألوان شتى وطبقات اجتماعية وثقافية متنوعة كان صداها كبيرا فى كتبه عامة وفى الإشارات الإلهية خاصة لأن مأساته قد انقلبت إلى عالم جديد قوامه الروح والتصوّف والابتهاال والمناجاة الدائمة امتد على مختلف نصوص الإشارات لا سيما الفصل الثانى عشر الذى ذكر فيه أبو حيان مشكلة الغربة وأطوارها وتعرض إلى صفات الغريب ومراتبه المختلفة ذاكرا فى أثناء ذلك خلاص الغريب وسبيل نجاته الذى يتحقق بسعادة الايمان والانصراف إلى عالم الله المطلق استعدادا للآخرة والحساب. ولهذا يمكن أن نتساءل : كيف عبّر أبو حيان عن مستويات الغربة الذاتية التى عاشها فى تجربة الإشارات الإلهية أسلوبيا ومعنويا ؟

2 - أبعاد الغربة فى الإشارات الإلهية :

يبقى كتاب الإشارات الإلهية مؤلفا فريدا أو أثرا متميزا فى مجاله لأنه قد عكس بصدق تجربة أبى حيان التوحيدى والانسانية والأدبية خاصة وأنه قد

(23) الإمتاع والمؤانسة - الجزء الأول - المعقّمة.

كُتِبَ في أواخر حياة أديبنا الذي اكتملت عنده الرؤيا ونضجت أفكاره وصقلت تجربته الطويلة بين الناس والمجتمع.

إنَّ كتاب «الإشارات» يعد أهمَّ كتب أبي حيَّان نفسه باعتبار أنه قد عبَّر داخله عن خلاصة تجربته الحياتية وتحوله الفكري الجديد إضافة إلى مواقفه من الدنيا والإنسان والوجود بعد ما رفضه عامَّة الناس رغم توضيحته بماء الوجه من أجل التردد على بلاطات الوزراء ومجالس الاثرياء.

وفي الإشارات نقف على التحوُّل الجديد الذي طرأ على تفكير أبي حيَّان فانقلب مفكراً صوفيّاً يدعو إلى نمط جديد من الحياة الصوفية والابتهالات الذاتية المحضة التي ترفض غرور الدنيا وزيفها، إضافة إلى القيمة الفنية والاسلوبية التي عكست حرقة التوحيدي الوجدانية ووجده المتفجّر.

أ - البناء الفني في الإشارات الإلهية :

إن كتاب الإشارات الإلهية يقوم على مجموعة من الرسائل الصوفية المتعلقة بموقف أبي حيَّان ونظرته إلى الغربة والتصوف والسعادة الآخروية. وهذه الرسائل الروحية تنبني على ركنين أساسيين هما : الدعاء (المناجاة) ومخاطبة أبي حيَّان لشخص مجهول : «لعله ذات التوحيدي الممزقة، ولعله كذلك الإنسان التائه المنشغل بالدنيا ولذا نذها ولعله أيضاً الإنسان في المطلق»⁽²⁴⁾.

وتجدر الملاحظة إلى أن الرسائل المضمَّنة لكتاب الإشارات تحتوي صيغاً فنية وبلاغية متداخلة وهي تتراوح بين الخطاب والدعاء وأغراض أخرى أهمها شكوى الحال والزمان. ولعل المتأمل في بنية كتاب الإشارات يستنتج أنه يتضمن عموماً بعدين أساسيين :

★ البعد الأول : يتمثل في وصف الغربة، أي غربة أبي حيَّان الذاتية الناتجة عن عوامل بسيكولوجية واجتماعية متداخلة.

(24) مقدمة «الإشارات الإلهية» - الدكتور وداد القاضي - ص : 12 - طبعة دار الثقافة - بيروت 1973.

★ البعد الثاني : وهو يتعلق بعالم التصوّف الذي اقنعت التوحيدى بأنه الحل المنطقي والموضوعي لتحقيق السعادة الاجلة والعاجلة في الدنيا والاخرة، وفي أثناء ذلك يدعو أبو حيان الإنسان إلى التوبة إلى الله والانصراف إلى دنيا الروح والانفاس الإلاهية في مقابل رفض الدنيا وغرورها وزيفها الزائل.

وفي هذا النطاق يحتل أسلوب الخطاب حيزاً رئيسياً لأن كل الرسائل تنبني على الخطاب والحوار والنقاش. ذلك أن أبا حيان يركز كثيراً على طريقة الحوار أي السؤال والجواب داخل نصوص الإشارات معبراً بذلك عن حالته النفسية الجديدة المتحولة من الشك إلى اليقين ومن عالم الإنسان إلى عالم الله المطلق.

وبالرغم من وقوفنا على النزعة العميقة التي خلقتها المأساة الوجودية في ذات أبي حيان فإن قيمة الإشارة التي اتبعها في رسائله تعكس اهتمامه الدقيق باللغة والالفاظ اللغوية التي تتجاوز عنده المدلولات العادية المعجمية لتأخذ معاني جديدة خاصة.

ولعل الإشارة الدقيقة «إلى علم التصوّف بالإشارات والعبارات كان أمراً معروفاً متداولاً لدى الصوفية في عصر أبي حيان وقيله، وإذا شاء المرء أن يستدل على ما يعنيه أبو حيان بكلمة «الإشارة» بدقة أشد فإن عليه أن يتأمل النصوص التي وردت فيها تلك الكلمة إذ ذاك يدرك أن المعنى بها لديه محاولة الرجل المتصوّف - الذي ارتفع عن البشر واقترب من الوصول إلى الله - أن يعبر عن الحقيقة الإلاهية بصنوف مختلفة من العبارات التي يستعملها البشر جميعهم سواء أكان ذلك التعبير لتسبيح الله وحده أم لهداية البشر إلى الله...»⁽²⁵⁾.

ومن البديهي أن يكتف أبو حيان هنا من طريقة الوصف والتعبير الوصفي المتسم بانفجار الإحساسات الوجدانية وترادف الانطباعات الذاتية المكثفة لأن مجال التصوف هو مجال التجربة الذاتية والحالة الخاصة التي يعيشها الفرد وحده.

(25) المصدر السابق - ص : 20.

ولعل ذلك ما يفسر كثرة ورود الاساليب الإنشائية الخبرية التي تتناسب مع الوصف أكثر من الاساليب التقريرية خاصة أدوات الإستفهام والتعجب والتساؤل والنداء التي تكاد تغلب على سائر الطرق الفنية والانماط الاسلوبية المعروفة لدى الادباء والنقاد في القرن الرابع الهجري.

ب - وصف الغربة عند التوحيدي :

إن وصف الغربة عند أبي حيان يحتل نصيبا هاما من رسائل الاشارات خصوصا الرسالة الثانية عشرة التي حفلت بمعاني الغربة وسمات الغريب المادية والمعنوية والانطولوجية. وقد تعرض التوحيدي لذكر الغربة وحقيقتها مخاطبا شخصا مجهولا - لعله أحد الصوفيين - : «سألتني - رفق الله بك وعطف علي قلبك - أن أذكر لك الغريب ومحنه وأصف لك الغربة وعجائبها»⁽²⁶⁾. مؤكدا أن الحالة الجديدة التي أصبح يعيشها قد أصبحت حائلا بينه وبين امكانية وصف حالته الغريبة بين الناس لان عالم الروحانيات الصوفي غير قابل للوصف والتعبير بل هو عالم المقام والاذواق الذاتية : «ثم إني وجدت في حالي شاعلا عكك وحائلا دونك ومفرقا بيني وبينك»⁽²⁷⁾.

ومن الواضح أن التوحيدي الصوفي قد أصبح متشغلا بعالم الاشارات الجديد الذي وجد في إطاره الحقيقة رغم أن إحساسه بالغربة ما زال متأزما في نفسه لان أطوار المأساة الاجتماعية الطويلة التي مر بها قد خلّفت في ذاته شرخا كبيرا بل معضلة كبيرة بل «إشكالية» متعددة الاسباب والعوامل.

- الغربة المادية :

لئن كانت عوامل غربة التوحيدي متنوعة متعددة فإن الجانب المادي منها قد برز في مساحات مختلفة من وصف ملابسات الغريب التي عكستها الرسالة الثانية عشرة من الاشارات. وتتأكد معاني الغربة المادية عند تأسّف أبي حيان على فشله في تجاربه الاجتماعية المنقضية وتعبيره عن خيبته المأسوية التي تميزت بفراقه للوزراء وخصامه مع الامراء وإدبار الناس

(26) (27) : الاشارات الإلهية - الجزء 1 - الرسالة 12 - ص 80.

عنه : «وكيف أخفض الكلام الان وأرفع ؟ وماذا أقول وأصنع ؟ وبماذا أصبر ؟ وعلى ماذا أجزع ؟ وعلى العلل التي وصفتها والعورات التي سترتها أقول :

وما جزعا من خشية البين أخضلت
دموعي ولكن الغريب غريب⁽²⁸⁾

وهكذا نقف على غربة التوحيدي في دنيا الانسان، وهي الغربة المتميزة بالفقر والحرمان والعجز عن بلوغ المكانة الاجتماعية اللانقة به كمثقف وأديب التي انقلبت إلى غربة زمانية ومكانية نتيجة لفقدان الشعور بالاستقرار والانتماء إلى الوطن. يضاف إلى ذلك فقدانه الاهل والاقارب والابناء الذين هم أهم الروابط الاجتماعية والمادية والروحية التي تشد الانسان إلى الواقع والحياة : «هذا وصف غريب نأى عن وطن بنى بالماء والطين وبُعد عن الاف له عهدهم الخشونة واللين، ولعله عاقرهم الكأس بين الغدران والرياض.. فأين أنت عن غريب قد طال غيبته في وطنه وقل حظّه من جيبه وسكنه ؟»⁽²⁹⁾.

وإذا عدنا إلى كتاب «الصداقة والصديق» وجدنا أن أبا حيان يطلعنا على أثر الغربة المادية عليه نتيجة لفقد الاهل والاصدقاء بل والابناء أيضا خاصة وأن سنوات العمر قد تقدمت به وصار يقاسي الام الوحدة. كما تتضح هذه الفكرة في الإشارات حيث قال : «هذا وصف رجل لحقته الغربة فتمنى أهلا يأنس بهم ووطنا يأوى إليه ونديما يحل عُقد سرّه معه وكأسا ينتشي منها وسكنا يتوابع عنده»⁽³⁰⁾.

إلا أن تجربة الغربة التي عاشها أبو حيان التوحيدي لا تقف عند المستوى المادي الصّرف الذي يعرفه عامّة الناس عادة بل إنها تتجاوز ذلك إلى المستوى الروحاني الذي تحتد فيه المفارقة بين عالم التوحيدي الذاتي

(28) الإشارات الإلهية - الرسالة 12 - ص 80.

(29) الإشارات الإلهية - الجزء 1 - الرسالة 12 - ص 81-82.

(30) المصدر السابق.

وبين واقع عصره. فالغربة الروحانية نتيجة منطقية وحتمية للغربة المادية المعيشة على مستوى الواقع الذاتي.

- الغربة الروحية :

إن الغربة الروحية المعقدة تعكس في الواقع الحالة التي أصبحت عليها نفسية أبي حيان التوحيدي إثر انقطاعه عن الناس وشعوره بالوحدة والعوز والحاجة المادية. فأبو حيان الغريب لم يعد يمكنه كتمان إحساسه بالأسف والالاف لان دنيا الانسان لم تسعه ولم تؤاتيه لذلك كان انفجاره الوجداني تعبيراً صادقاً عن المحن المتعددة التي حلت به : «الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة ودل عنوانه على الفتنة عقب الفتنة وبانت حقيقة فيه في الفينة حد الفينة...»⁽³¹⁾.

وهكذا أصبحت حالة أبي حيان النفسية حالاً متوترة متقلبة متميزة بالبكاء والندم والاسف على الزمن الماضي الذي ضاع، إضافة إلى أن حياته الجديدة لم تستقر له بعد. فهو يقر بهذه المفارقة الجديدة التي أصبح عليها خاصة وأن الغريب أصبح ذلك الشخص الملعن من حياة المجتمع والذي لم يعد له أية قيمة بين معاصريه: «الغريب من حضر كان غائباً وإن غاب كان حاضراً.. الغريب من إن رأيته لم تعرفه وإن لم تره لم تستعرفه...»⁽³²⁾.

إن هذه الحالة الروحية الجديدة التي أصبح عليها أبو حيان والتي تتميز بالانفجار الوجداني والمعاناة الوجدانية الداخلية لهي أبرز تبرير لتسليّة التوحيدي لنفسه ومحاولته التخفيف عنها ممّا أصابها من سوء حظ وخيبات متكررة اجتماعياً ومادياً. وفي هذا المجال يستشهد أبو حيان بنصوص شعرية مناسبة من بينها بيت مشهور لأبي الطيّب المتنبّي يقول فيه :

بم التعلّل لا أهل ولا وطن
ولا نديم ولا كأس ولا سكن ؟

(31) الإشارات الإلهية : الرسالة 12 - ص 80 - 81 - 82.

(32) المصدر السابق.

ويشير أبو حيان في مواضع أخرى من الإشارات إلى أن انقسام علاقته بمعاصريه ليس هو السبب في غربته الروحية وحده وإنما الحيرة الوجودية التي انتابته في عزله لها ضلع آخر في تأزيم ذاته حتى أنه بات غير قادر على مغادرة وطنه مع أنه يشعر بالانتفاء الوجودي في ظله : «فأين أنت عن غريب قد طالت غربته في وطنه وقلَّ حظه من جيبه وسكنه ؟ وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الاوطان ولا طاقة به على الإستيطان ؟»⁽³³⁾.

ومن هنا نستنتج أن الغربة عند أبي حيان قد تجاوزت مستوى المكان والزمان والواقع عموماً لتكون حالة جديدة مستمرة ملازمة للذات وحركتها الوجدانية المنكسرة بل إن الغريب أصبح غريباً في وجوده عن ذاته التي هي أقرب الأشياء إليه : «الغريب من هو في غربته غريب..»⁽³⁴⁾.

ولعل الغربة التي يعرفها التوحيدي هي الغربة التي لا يمكن أن توصف لأنها تجاوزت المستوى الاجتماعي المادي لتشمل علاقة أبي حيان بعصره وتناقضه في مواقفه الفكرية والمعرفية مع سلوكيات معاصريه وأخلاقياتهم المتردية. وعليه فليس من الغريب أن نجد التوحيدي يعترف بأن اللغة قاصرة في حد ذاتها عن نقل ملامح هذه المعاناة الوجودية والروحية العميقة : «الغريب الذي اكتنفته الإحزان من كل جانب واشتملت عليه الاشجان من كل حاضر وغائب، وتحكمت فيه الأيام من كل جاء وذاهب، وشنته الزمان والمكان بين كل ثقة ورائب، فوصف يحفى دونه القلم ويفنى من ورائه القرطاس ويشل عن تحبيره اللفظ لانه وصف الغريب الذي لا اسم له فيذكر ولا رسم له فيشهر...»⁽³⁵⁾.

ولئن كان أبو حيان يؤكد بأن الغربة الحقيقية تجربة ذاتية معيشة ولا يمكن وصفها حقيقة بأيّة حال لأنها تنبع من منبع المعاناة الداخلية الوجدانية فإنه يكتفي بالإشارة إلى بعض الملامح الخارجية التي يعرفها الناس في العادة

(33) الإشارات الإلهامية : الرسالة 12 - ص 82-83.

(34) المصدر السابق - ص 83-84.

(35) المصدر السابق.

خصوصا حرقة الاسبى وشدة الاحزان : «الغريب من اذا تنفس أحرقة الاسبى والاسف وإن كتم أكمدته الحزن والنهف...»⁽³⁶⁾.

وهكذا ينتهي التوحيدى إلى أن الغربية مسألة ذاتية وموضوعية الاسباب أيضا لأنها قد تعترض الانسان بدون أن يكون له أي ذنب في الامر مما يجعله في قلق دائم وتوتر مستمر ما دام موجودا في دنيا الانسان المألوفة بتقلباتها وصروفها ومصائبها المفاجئة : «يا رحمة للغريب طال سفره من غير قدوم وطال بلاؤه من غير ذنب، واشتد ضرره من غير تقصير، وعظم بلاؤه من غير جدوى...»⁽³⁷⁾.

- الغربية الوجودية :

إن إشكالية الغربية كما تعرضها نصوص الاشارات تؤكد أن التوحيد قد تفتن إلى خيط الحقيقة لما أدرك أن القضية في الواقع هي قضية أنطولوجية معيشة في وجوده متعددة.

فبعد أن تجاوز أبو حيان مستوى الغربية الروحية القيمية انصب تأمله على الانسان الاخلاقي ومشروعية أفعاله الخيرة والشريرة لا سيما بعد أن اهتدى إلى الخلاص في عالم الله والحق المطلق.

إن التوحيدى صار يعتقد أن الانسان غارق في حياته ولذته الزائلة وغافل عن الحقيقة الإلهية وتلك هي أبرز أسباب غربته الوجودية الحقيقية : «اللهم انا قد أصبحنا غرباء بين خلقك فأنسنا في فنائك، اللهم وأمسينا مهجورين عندهم فصلنا بحبائلك»⁽³⁸⁾.

ولهذا فلا بد للانسان أن يعود إلى الحقيقة الثابتة التي تتجاوز الدنيا وغرور الانسان وتتوق إلى الله وتبحث عن الخلاص الانطولوجي في الملكوت الرباني السرمدي، ذلك لان كل أفعال الانسان تصبح متجهة إلى

(36) الاشارات الإلهية : الرسالة 12 - ص 83-84.

(37) المصدر السابق - ص 84.

(38) الاشارات الإلهية - الرسالة 12 - ص 84.

الحَقَّ وبعيدة عن أشكال الطَّمَع في الخلق لان «غاية المجهود أن يَسْتَلُو عن المَوْجُود وَيُغْمِضَ عن المشهود...»⁽³⁹⁾.

وعندما ينتقل الانسان من عالم الانسان المادّي إلى عالم الله المطلق يصبح غريبا بين بني جنسه الغائبين عن جوهر الحقيقة الروحانية المثلى : «الغريب من أخبر عن الله بأنباء الغيب داعيًا إليه بل الغريب من تهالك في ذكر الله متوكلا عليه...»⁽⁴⁰⁾.

وما انتقل أبي حيان الذاتي من تجربة الدُّنْيَا والانصراف إلى المال والجاه والسلطان إلى تجربة التَّصَوُّف والحياة الرُّوحِيَّة الجديدة في العالم الإلهامي إلا خير معبر عن غربته الوجودية بين بني قومه الذين انتهى إلى مقاطعتهم والانشغال عنهم بعالم الحَقِّ الأزلي : «الغريب من توجَّه إلى الله قاليا لكل من سواه، بل الغريب من وهب نفسه لله...»⁽⁴¹⁾.

إن التوحيدي المتصوِّف يعتبر أن الانسان الجاهل هو الذي يغلبه الغرور ويسيطر عليه الضياع ويكون عبدا لهواه وشهواته، وذلك ما يكون سببا في بعده عن الحقيقة وإمعانه في التمزق الانطولوجي اليائس : «ويلك ! إلى متى تتخدع وعندك أنك خادع ؟ وإلى متى تظن أنك رايح وأنت خاسر ؟... قد والله فسدت فسادا لا أرجوك معه لفلاح.. سرك كفران، ولفظك بهتان وسرورك طغيان وحزنك عصيان...»⁽⁴²⁾.

وهكذا نجد أبا حيان أدبيا متصوِّفا يشهر بجهل الانسان وإنكبابه على الدُّنْيَا وزيفها معتبرا أن مأساة الدَّات البشرية تنبع من غفاته عن الحقيقة وانشغاله بالظواهر والتَّوافه الزائلة التي تحجبه عن الوعي بوجوده ومحاسبة نفسه ومتابعة أفعاله : «وأنت لا تحاسب نفسك عليها ولم ولا بكم وكيف...؟»⁽⁴³⁾.

(39) المصدر السابق : ص 83.

(40) المصدر السابق : ص 85.

(41) الإشارات الإلهامية - الرسالة 12. ص 85.

(42) المصدر السابق : ص 85-86.

(43) المصدر السابق : الرسالة 12 - ص 84-85.

ومن هذا المنطلق يتضح أن التوحيدي المتصوف قد تَفَطَّن إلى أصل المأساة الإنسانية النابعة عن جهل الانسان بحقيقة نفسه القاصرة وبُعْده عن الوعي بأبعاد الحَظْوَةِ الإلهية المَلَكُوتِيَّة، لذلك حفلت الرِّسالة الثانية عشرة خاصَّة من رسائل الإشارات الإلهية بدعوته للانسان كي يتحوَّل من عالم الدُّنيا الفانية إلى رحاب العالم الإلهي الخالد بعد تنقية نفسه وتجاوز ثنائيات الوجود وتناقضاته المختلفة.

فما هي خصائص التصوف الديني عند أبي حيان ؟ ثم ما هي مستويات المعرفة الصوفية عند التوحيدي ؟

المصادر والمراجع المُعتمدة :

(1) أبو حيان التوحيدي :

- الإشارات الإلهية - تحقيق الدكتورة وداد القاضي، طبعة دار الثقافة بيروت، لبنان 1973.

- الإمتاع والمؤانسة - تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، طبعة دار مكتبة الحياة بيروت - لبنان (بدون تاريخ).

- الصداقة والصديق - تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، طبعة دار مكتبة الحياة - بيروت، لبنان.

(2) أحمد أمين :

- مقدمة «الإمتاع و المؤانسة» - تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين.

(3) كمال عمران :

- ملابس الغربة عند أبي حيان التوحيدي (دراسة) - الحياة الثقافية - تونس : فيفري 1982.

(4) وداد القاضي :

- مقدمة «الإشارات الإلهية» - طبعة دار الثقافة، بيروت - لبنان 1973.

لَهَبُ الْأَيَّامِ الْخَائِفَةِ

محي الدين الشارني

لَوْ كَانَ لِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى شِمَالِ الْفَوَادِ...
لَوْ كَانَ لِي أَنْ أُسْرِجَ الْحُلْمَ لِرَأْيِيَةِ الْقَلْبِ...
لَوْ كَانَ لِي أَنْ أَهْدِيَ الْحَيْرَةَ...
لِرَاهِبِ الْكَلَامِ...

لَوْ كَانَ لِي...
لَقُلْتُ...

هَذَا الْمَحْوُ الْجَالِسُ تَحْتَ الشَّبَاكِ...
...صَدِيقِي...

لِبَيَاضِ ضَاعَ مِنْهَا... فَرَطُ الشُّوقِ الْعَظِيمِ...
وَلَا زَرْقٍ وَرَدٍ تَرْتَدِيهِ... مُتَسَمِّعٌ لَدَيْدٍ مِنْ حُلْمِ الْفَوَادِ...
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com> أَسْمِيهَا دَمِي

وَأَهَازِيحُ الْقَبِيلَةَ...
أَسْمِيهَا الْبِلَادَ الَّتِي يُحْطَى فِيهَا الْقَلْبُ بِالْعَذَابِ...
أَسْمِيهَا الْبِلَادَ الَّتِي أَمْرُ مِنْهَا...
...وَالشَّهْدَ الْمُسْتَرِيحَ عَلَى نَقَشَاتِ الْجَسَدِ...
أَسْمِيهَا... وَلَا أَشْعُرُ بِي... حِينَ تَمُرُّ...
لَا أَجِدُنِي حَذَوِي...
وَلَا أَجِدُنِي هُنَا...
إِنَّمَا تَمُرُّ الْآنَ حَامِلَةً دَمِي وَبَعْضَ أَشْلَانِي الْمَاخِبَةِ...
إِنَّمَا تَمُرُّ الْآنَ كَنُورِ سَةِ حَالِمَةٍ...
لَهَا لَدِيدُ الْحَيَاةِ...
...وَأَزَاهِيرُ قَلْبِي الْمُتَعَبَةِ...

لَهَا زَغَارِيدُ جِمَرَاتٍ تَمُرُّ مِنْ بَيْنِ خُلُوعِ الْمَدِينَةِ...
وَتُسَمِّيهَا نَوَاقِيسَ الرُّوحِ...
وَأَفْرَاحَ الْمُعْلَكَةِ...

لَهَا مِيعَادُ الطَّرِيقِ الْوَحِيدِ...
(لَهَا مِيعَادُ قَلْبِي الْوَحِيدِ...)
وَلِي تَرْكُضُ الْمَدِينَةَ حَافِيَةً... يَلَا مَأْوَى...

أُسَمِّيهَا الْعَذَابَ الَّذِي مَرُّ...
...وَالْحُبَّ الَّذِي لَا يَجِيءُ...
أُسَمِّيهَا دَمِي...
...وَقَلْبِي الْمَوْقُوفَ عِنْدَ أَوَّلِ الْحَدَقَةِ...
أُسَمِّيهَا... وَلَا أَشْعُرُ بِي... حِينَ تَمُرُّ...
لَا أَجِدُنِي بِجَانِبِي...

وَلَا أَجِدُنِي هُنَا...
لَهَا زَغَارِيدُ جِمَرَاتٍ تَمُرُّ الْآنَ مِنْ بَيْنِ ضُلُوعِ
الْمَدِينَةِ...
<http://Archivebeta.Saharil.com>

وَتُسَمِّيهَا أَجْرَاسَ الرُّوحِ... وَأُسَمِّيهَا : السُّوسَنَةَ...
إِنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمُرُّ حَامِلَةً دَمِي...
وَيَعُضُ أَشْلَانِي الْمُتَعَبَةَ...
إِنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمُرُّ وَلَا تَتْرُكُ فِي...
إِلَّا شَاعِرًا تَقِيدُهُ الْأَحْزَانُ
يَلْهَبُ أَيَّامَ قَاتِرَةٍ...

.../...

دراسة أدبية :

خصائص الخطاب الشعري عند سعدي يوسف

بقلم : الطاهر عوني

I- مدخل عام :

تتنزّل دراستنا هذه والرّامية لتحديد أهمّ ملامح وخصائص الخطاب الشعري لدى الشاعر العراقي سعدي يوسف في إطار دراستنا للشعر العربي المعاصر الذي انطلقت حركته التحديّثيّة مع نهاية الحرب العالميّة الثّانية وذلك إستناداً لما ذكرته نازك الملائكة التي أكّدت على أن بلاد العراق كانت مهد الشعر الحرّ * كانت بداية حركة الشعر الحرّ سنة 1947 في العراق ومن العراق بل من بغداد نفسها زحفت هذه الحركة وامتدّت حتّى عمّرت الوطن العربي كلّهُ * (1) وتشير بعض الدّراسات الأدبية والنقدية إلى أنّ حركة الشعر الحرّ قد تجسّدت من خلال أشعار روّاد الشعر الحديث بالعراق في فترة الخمسينات (2) وبعد رحيلهم ظهر الجيل الثّاني الذي بقي مديناً لسابقه أمثال السيّاب والبياتي بهذا الدّآب في بناء القصيدة والمحافظة على صفاء اللّغة وينتمي إلى هذا الجيل شاعرنا سعدي يوسف (3) الذي إنطلقت مسيرته الشعرية

(1) نازك الملائكة - قضايا الشعر المعاصر - ص 23

(2) روّاد الشعر الحديث : نعني بهم : نازك الملائكة - بدر شاكر

السيّاب - عبد الوهاب البيّاتي

(3) سعدي يوسف : شاعر عراقي ولد سنة 1934 في قرية قرب

منذ سنة 1952 تاريخ كتابة أولى قصائده وهي قصيدة بعنوان "القرصان" وبعد ذلك توالى صدور مجموعاته الشعرية التي كتبت في أماكن مختلفة وكانت أولها مجموعة إحدى وخمسين قصيدة التي صدرت سنة 1959 ورغم كثرتها (مجموعاته الشعرية) فإننا سنقتصر على الإعتماد في دراستنا هذه على ديوانين إثنيين هما ديوان "الأخضر بن يوسف ومشاغله" الذي صدر فيما بين سنتي 1971 و 1972 وقد قيلت قصائد هذا الديوان في بغداد بإستثناء واحدة قيلت في الجزائر، وديوان "تحت جدارية فائق حسن" الذي صدر فيما بين سنتي 1973 و 1974 إضافة إلى بعض الدراسات النقدية والأدبية التي إهتمت بهذا الموضوع وتناولته بالدّرس والتي كانت نادرة وقليلة.

II- الخصائص الفنية : ARCHIVE

يُعزى إهتمامنا بدراسة هذه الناحية من شعر سعدي يوسف دون غيرها من النواحي التي تميّز شعره وتطبعه بطابع خاص إلى قلة عناية النقاد والدّارسين بدراستها وسنعمد في ذلك كما سلف أن ذكرنا على ديواني "الأخضر بن يوسف ومشاغله" و"تحت جدارية فائق حسن". وسنهتم بدراسة بناء القصائد وتوزيعها على الصفحات وإبراز الأساليب البلاغية المعتمدة في نسج الصّور الشعرية عامدين إلى تفكيك الغموض الذي

البصرة تخرّج من كليّة التّربية ببغداد سنة 1954 كمدرّس ثمّ إضطّر لأسباب سياسية للعمل في الكويت ثمّ العودة إلى بغداد سنة 1958 ثمّ أجبر مرة أخرى على مغادرة العراق والعيش متجولاً بين مختلف الدّول العربية الأخرى بعد أن عانى تجارب السّجن والممارسة والملاحقة والمنفى.

يكتنفها دون أن نهمل التعريج في الأخير على بعض الدلالات التي يحملها شعر سعدي يوسف في طيَّاته وبين أسطر القصائد الشعرية خاصة وأننا نعلم أنَّ قصائده ذات طابع ثوري وبعد توعوي لذلك سنخلص إلى معالجة القضايا التي تناولها شعر سعدي يوسف بعد تعرُّضنا لأهمِّ الخصائص الفنية لقصائده.

(1) توزيع القصائد على الصفحات :

يمكن للقارئ تحديد هندسيَّة خاصَّة لرسم قصائد سعدي يوسف على الورقة وذلك بمجرد الإعتماد على القراءة البصريَّة فيتضح له إنبناء القصائد على ثنائيَّة البياض والسَّواد وتراوح كتابة الأسطر الشعرية بين الإمتداد والتقلُّص إضافة إلى تراوح القصائد نفسها بين الطول والقصر بين المجموعة الواحدة أو حتَّى بين المجموعتين. فقصيدة "نحن لم نحتكم" تُبعت كتابة أسطرها الشعرية نسق الكتابة الثنائية إذ تمتد من أقصى يمين الصفحة إلى أقصى يسارها، ومن الملاحظ أنَّ ظاهرة "المدَّ والجزر" في كتابة الأسطر الشعرية وتوزيعها على الورقة قد إنتفت في قصيدة "تلك الأيام" إذ إنَّضج إتخاذ أسطر هذه القصيدة نسقا عموديا. إلا أنَّ النسق الغالب لإنتظام الأسطر الشعرية للقصائد وتوزيعها على الورقة هو ذلك الذي يتراوح بين "المدَّ والجزر" أو ما يعرف بظاهرة "التَّنامي والتقلُّص" كما تجدر الإشارة إلى أنَّ ثنائية البياض والسواد تتضح من خلال طول القصائد وقصرها بالإضافة إلى تجلِّيها الواضح من خلال توزيعها (القصائد) على الورقة والجدير بالذكر أنَّ قصائد المجموعتين الشعريتين "الأخضر بن يوسف ومشاغله" و "تحت جدارية فائق حسن" تختلف من حيث الطول

والقصر إذ تحتوي المجموعة الأولى على ست (6) قصائد طويلة وأربع (4) قصائد قصيرة في حين تتضمن المجموعة الثانية تسع (9) قصائد طويلة وأربع (4) قصائد قصيرة ومن الملاحظ أنَّ علامات الطباعة تساعد على الفصل بين مقاطع القصائد إلى جانب الفواصل والنقط والبياضات المتفاوتة الحجم سواء أكان ذلك داخل الأسطر أو بين مجموعة وأخرى.

(2) البناء الخارجي للقصائد :

إنَّ الدَّأرس للأبنية الخارجية لقصائد سعدي يوسف من المجموعتين الشعريتين "الأخضر بن يوسف ومشافله" و "تحت جدارية فائق حسن" ينتبه منذ الوهلة الأولى إلى نوعين من القصائد ، بسيطة ومركبة. فالقصائد البسيطة هي تلك المتكوَّنة من مقطع فأكثر وعدد هذا الصَّنْف من القصائد يبلغ تسع عشرة (19) قصيدة من مجموع قصائد المجموعتين الذي يبلغ ثلاث وعشرين (23) قصيدة أما القصائد المركبة فهي تلك التي تكون أكثر من قصيدة وعددها قليل بالمقارنة مع نظيرتها البسيطة إذ يبلغ عدد القصائد المركبة أربع (4) قصائد وكمثال على ذلك نذكر قصيدة "العمل اليومي" التي تضم ثلاث قصائد وضعت في أشكال هندسية داخل القصيدة الأم. ومن خلال جنوحنا إلى المقارنة بين نظام كتابة الأسطر الشعرية في قصائد المجموعتين لاحظنا وجود قصيدتين إعتد فيهما سعدي يوسف المزاوجة بين الأبيات العمودية والأسطر الشعرية. وهما قصيدتا "عن المسألة كلها" و "عبور الوادي الكبير" إلا أنَّه وبالرَّغم من ذلك يلاحظ القارئ غلبة نظام الأسطر الشعرية الذي شمل كلَّ القصائد في المجموعتين، والجدير بالذكر أنَّ القصيدة الحديثة أصبحت لها مع سعدي

يوسف ملامح ومميزات بارزة إذ أضحت ذات بنية متميزة وهندسية خاصة بها.

(3) البناء الداخلي للقصائد :

من المتعارف عليه أنه من شروط ومستلزمات إكمال القصيدة لبنائها الداخلي توفر عديد الأبنية منها البنية العروضية والبنية البلاغية والتركيبية. فغيما يتعلق بالجانب الأول الذي نعني به البنية العروضية، فبمجرد تأمل القارئ في قصائد المجموعتين يلاحظ، وبلا ريب ميل سعدي يوسف إلى استعمال بحور معينة دون أخرى من ذلك تركيزه على استعمال بحري المتقارب وتفعيلته "فعولن"، والمتدارك وتفعيلته "فاعلن" من مجموعة البحور ذات التفعيلة الواحدة إضافة لإستعماله لبحري الطويل وتفعيلته "فعولن، فاعلن" والبسيط وتفعيلته "مستفعلن، فاعلن" علاوة على بحر السريع وتفعيلته "مستفعلن، مستفعلن، مفعولات" وهذه البحور الثلاثة تنتمي لمجموعة البحور ذات التفعيلة المزدوجة كما تجدر الإشارة إلى جنوحه للمزاوجة بين بحرین إثنين في قصيدة واحدة ونذكر هنا كمثال قصيدة "الأخضر بن يوسف ومشاغله" التي تنتمي بدورها للمجموعة الشعرية "الأخضرين يوسف ومشاغله" فعنوان هذه القصيدة هو نفسه عنوان المجموعة التي تنتمي إليها هذه القصيدة التي إعتد الشاعر في نسج أسطرها الشعرية على بحري المتدارك والمتقارب، وإلى جانب ذلك سرعان ما يتنبه القارئ لقصائد المجموعتين إلى ظاهرة تكسير التفعيلة إذ يطوعها الشاعر ويجعلها مشتركة بين سطرین شعريين إثنين وندلک على ذلك بقوله :

لو عرفت الطريق

(4) إليها.

فالتفعيلة هنا تتوزع بين السطرين إذ تمتدّ من آخر حرف من لفظ "الطريق" "ق" وتنتهي إلى حرف الياء "ي" من لفظ "إليها" ولتدعيم ذلك نذكر أن البحر المعتمد هنا هو بحر المتدارك وتفعيلته "فاعلن" إلا أنه في هذا المثال طرأ على التفعيلة الأساسية تغيير يسميه العروضيون بالزحاف إذ تحوكت في هذا المثال تفعيلة "فاعلن" إلى "فعلُن". ومن الملاحظ أن شيوع ظاهرة تكسير التفعيلة في شعر سعدي يوسف تدعّم القول بأن شعره يتضمّن ثلاثة أنواع مختلفة من الجمل ألا وهي الجملة العروضيّة، والجملة النحويّة والجملة البلاغيّة، ولتأكّد وتدعيم ما ذهبنا إليه سنسوق بعض الأمثلة المستوحاة من شعر سعدي يوسف ومن المجموعتين الشعريتين "الأخضر بن يوسف ومشاغله" و "تحت جداريّة فائق حسن" بالتحديد <http://Archivebeta.Sakhrit.com> فالجملة العروضيّة في شعره قد تحوي عديد الأسطر مثل قوله :

في الجبال تكون الغيوم رماديّة

والجبال رماديّة، لو عرفت الطريق

إليها، ولو جئت ألمس أهدابها (5)

أمّا الجملة النحويّة فقد تقتصر على سطر شعري واحد مثل قوله:

ولكنني مثقل بقميصي (6)

(4) سعدي يوسف : الأعمال الشعريّة -1977- "ديوان الأخضر بن يوسف ومشاغله" دار العودة بيروت، الطبعة الثالثة 1988. قصيدة "وأنا أنظر إلى الجبال" ص 181

(5) نفس المصدر السابق : قصيدة "وأنا أنظر إلى الجبال" ص 181

(6) نفس المصدر السابق: قصيدة: "وأنا أنظر إلى الجبال" ص 181

وقد تتجاوز السطر الشعري الواحد فتحتفظ به وتطال عديد الأسطر بل وفي بعض الأحيان تطال عديد المقاطع وكمثال على ذلك نذكر قصيدة "الأخضرين يوسف ومشاغله" إذ تكاد هذه القصيدة تكون كلها جملة واحدة إذ ورد المسند إليه نبي "نبي يقاسمني شقّتي" (7) وجاء المسند في شكل أفعال متوالية مرتبطة بالنبي بإستثناء الوحدة الرابعة والسادسة اللّتين وردتا في شكل جملتين إعتراضيتين فالقصيدة إذا جملة إسمية مركبة تخلّلتها جملتان إعتراضيتان تجسّدتا في المقطعين الرابع والسادس، أمّا فيما يخصّ الجملة البلاغية فقد تعدّدت في القصائد وأُخذت وسيلة وأداة بليغة لنسج الصّور الشعريّة مستخدما في ذلك كل الأساليب البيانيّة والبلاغية كالتشبيه والإستعارة والكناية :

ولو جئتُ ألمس أهدابها
بحفيف الصنوبر، أفتش أثوابها
بدموع الصنوبر. (8)

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فالمتملّ في هذا المثال يستنتج علاقات مجازيّة شتى بين الألفاظ وشيوع بعض المظاهر البلاغية وخاصة الإستعارة حيث إستعار للجبال بعض صفات المرأة "الأهداب" "الإفتضاض" "الأثواب" وعلاوة على ذلك سنخلص للتعرّض لإحدى خصائص البناء الداخلي للقصيدة ألا وهي القافية التي لم تقلت بدورها من ظاهرة التفسير فشأنها شأن التفعيلة قد وقع تفسيرها مع سعدي يوسف فقد قام شاعرنا بخرق كل ما هو مألوف

(7) نفس المصدر السابق: قصيدة: "الأخضر بن يوسف ومشاغله" ص 168

(8) نفس المصدر السابق: قصيدة: "وأنا أنظر إلى الجبال" ص 181

وسائد من وحدة التفعيلة ووحدة القافية والبناء التناظري للبيت الشعري ومن الملاحظ أنه أصبح من الصعب الحديث عن قافية مع سعدي يوسف رغم أنها تبرز في نهاية بعض الأسطر "قافية خارجية" أو داخل الأسطر "قافية داخلية" وهذه القافية هي المسيطرة في الشعر العربي الحديث لأمع سعدي يوسف فحسب بل حتى مع غيره من الشعراء المعاصرين الذين جاؤوا قبله أمثال السيّاب والبياتي أو الذين عاصروه أمثال محمود درويش وخليل حاوي وغيرهم من الشعراء، ونظراً لتقلص حضور القافية واختلافها في شعر سعدي يوسف فإن الثبوت قد أصبح يعدّ من الظواهر الصوتية المتواترة فيه فأعتمد عنصرًا من العناصر الإيقاعية داخل القصيدة وعلاوة على ذلك فسنتهم بدراسة الصورة الشعرية عند شاعرنا والتي لم تعد شفافة بل تميّزت بالغموض ولعلّ ذلك يعود لبعد قصائد سعدي يوسف الثوري والملحمي وحالة الشاعر إذ أننا على علم بأنه مطارّد وملاحق وكان قد عاش من السجن المنفى لذلك عمد في نسج صوره الشعرية إلى الرمز وإتخاذ بعض الاقتنعة والشخصيات المستعارة الشيء الذي وسّم هذه الصور بسمة الغموض الذي يدفع السامع أو القارئ للبحث وإزالة بعض الغموض الذي يكتنف الصور الشعرية "الغموض قوام الرغبة بالمعرفة ولذلك هو قوام الشعر... وشرطه لكي يظلّ خاصية شعرية أن يكون إشارة إلى أن القصيدة تعني أكثر من أن يقوى الكلام على نقله" (9)

(9) أدونيس- زمن الشعر- دار العودة بيروت - الطبعة الثالثة ص 21

كلمة مضيئة :

الإختلاف وأبعاده نجا المهداوي

لقد بات من الضروري أن نعيد الاعتبار إلى قيمنا الثقافية في مختلف المجالات الفنية والإبداعية خاصة ونحن نستظل بظلال الاستقلال وننعم بنعمه. إن نضالنا اليوم، في هذا الميدان لا يقل شأنًا عن نضالنا بالأمس في سبيل تحررنا من قيود الاستعمار البغيض وظفرنا بحريتنا واستقلالنا. هذه الحتمية الحياتية أبانت عن فوائدها وأبعادها لدى الغرب في الماضي القريب ولا شك أن استغادتنا بها ستكون غير قليلة في زماننا هذا، إذ نحن سعيًا إلى تحقيقها، وما من سبيل إلى ذلك في غير العودة إلى تراثنا الوطني ومراجعة إنجازاته الجهوية والمحلية بما احتواه من أشكال الفن مع الإنفتاح على الغير، ذلك أن المقياس الواحد المقنن إذا كان يهدف بجعل الأفراد نسخًا متطابقة على حساب أصالتهم فإن البحث عن الخصوصية الذاتية فقط، يؤدي غالبًا إلى العقم والتقوقع العشائري ولذلك توجب أن نحقق كياننا وذاتيتنا ولو اقتضى منا ذلك أن نتخلف مع الآخرين وليس يخفى على كل ذي نظرة عميقة بعيدة وأحكام صائبة مفيدة وآراء نيرة سديدة أنما الاختلاف في الرؤى والنزعات والأفكار ليس سوى ينبوع غني بالإبداع والإلهام ... هذا الذي تنويسي أوقع التغافل عنه طيلة فترات من الزمن وقع فيها تعبير بعض الحضارات أو الفنون وتقويمها على أن هذه من الصنف الراقي وتلك من الصنف الهابط.

إن كل حضارة في أيامنا هذه تمثل نموذجًا منفردًا لا يقل شأنًا في سموه ورقية عن أعظم الحضارات وأعرقها، كل ذلك كائن بالرغم من اختلافها عن بعضها البعض، هذا الاختلاف الذي يحلو للبعض أن يعداه نقيصة يبدو من وجهة نظري من الإيجابية بحيث يمثل نواة خصب وثراء. أليست جل الحوارات الإنسانية تستمد ثروتها ونجاحتها واستمراريتها من مواطن اختلافها وتناقضاتها ؟ أجل يتضح لنا أن الاختلاف إنما هو مصدر ثراء ونمو وتجدد واستمرارية بينما التشابه محل عقم واجترار وتكرار معيت، وبالتالي فإن مال الأول إلى الحياة والخلود بينما مال الثاني إلى الفناء والجمود.

درس في المنهج

الاستاذ : مجيد الشارني

«إذا كانت أمي تولد النساء فإنني أنشئ المعاني»

سقراط.

القسم النظري

1- ماذا نقصد بالمنهج ؟ :

* جاء في «اللسان» : «طريقُ نهجٍ : بينٌ واضحٌ. ومنهج الطريق : وضحه (...) والمنهاج كالمهجع : وفي التنزيل : «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا». والمنهاج : الطريق الواضح. (1)»
فالمنهج من خلال التعريف المعجمي طريق : أي مسافة مكانية تفترض بداية ونهاية وهو إضافة إلى ذلك واضح : أي طريق مستقيم ما إن ندخله حتى يتكشف لنا انتهاء لذا تُعنى المنهجية بتحديد المنهج وإبانة المطلوب على وجه الدقة والوضوح.

* ويميّز الدكتور عبد الله العروي تمييزاً واضحاً بين مفاهيم ثلاثة :

- المنهج أو كما يقال في بعض بلاد المشرق العربي

البرنامج

أي الطريقة التي تتبّع لعرض موضوع من المواضيع.

- المنهجية وهي علم قائم بذاته، يأخذ الطرائق المتبعة في

دراسات الآداب والتاريخ والاقتصاد وعلم النفس، الخ... لينظر في أسسها العامة المنهجية دراسة استقرائية تصنيفية مبنية على المقارنة.

(1) لسان العرب : (ابن منظور) أبو الفضل-ص (383). ط : دار صادر

بيروت - المجلد 2.

-الابستمولوجيا أو النظرية المعرفية التي تحاول الفصل في مسألة قيمة المناهج بالنظر إلى هدفها العام. أي تحاول أن تكشف عن الواقع الذي تصل إليه بواسطة كل منهج (2)

* ويبدو أنَّ المشتغلين بالفقه لا يفرقون كثيرا بين المستويات الثلاثة لأنَّ الأهمية لديهم تنصب على البرنامج باعتباره خطوة أساسية للتعامل مع الظاهرة الأدبية أو الإنسانية بصفة عامة. وحين تتداخل هذه المستويات يصبح البرنامج أو المنهج فلسفة أو بكلمة أخرى أنطولوجيا. (3)

* إنَّ هذا التحديد يجعلنا نقدّم درسا في المنهج لا برنامج منهجية أو قراءة ابستمولوجية لأننا واعدون أن جدوى المنهج في أنه يقحمنا مباشرة في الوثيقة المكتوبة حتّى نحدّد من خلالها التأويل القريب المقبول. (4)

ولكن كيف يكون التأويل قريبا ؟

يحدّد عبد الله العروي للإجابة عن هذا السؤال ثلاثة شروط :

(1) الشرط الأول : أن نحاول فهم الكلمات فهما تاريخيا. لا شكّ أنّه من الصعب أن نصل إلى رأي قطعي وأن نجزم أنّنا فهمنا الغزالي مثلا كما فهم هو نفسه ولكن على الأقلّ يجب أن نعطي الدليل على أنّنا حاولنا فهم جملة وكلماته على وجهها القاموسي. بعد هذا لنا حقّ التأويل، وأمّا التأويل المبني على الجهل أو إلغاء أوليات القراءة فهو مردود.

(2) المنهجية في الأدب والعلوم الانسانية : (العروي) عبد الله - دار توبقال للنشر 1986 - ص 09

(3) Ontologie : (Philo) : Partie de la métaphysique qui s'applique à l'être en tant qu'être, indépendamment de ses déterminations

« قسم من الميتافيزيقا يهتم بدراسة الوجود من حيث هو موجود، مستقلا عن تحديدهات الأخرى »
Petit Robert P: 1311

(4) التأويل القريب : قراءة تفسّر النصّ انطلاقا من أصل ثابت وتتعامل معه في حضوره كما في غيابه.

(2) الشرط الثاني : أن نفصل بين القراءة والتأويل، إذا بدأنا بالتأويل وقرأنا المؤلف على ضوء ذلك التأويل فإننا نتكلم على مؤلف آخر غير الذي ندرسه.

(3) الشرط الثالث : أن نكون على استعداد للتخلي عن رأينا إذا تبين أننا أخطأنا القراءة.

إذن فالخطوة الأساسية التي يسعى المنهج إلى إرسالها هي مقارنة النص من داخل بنيته المعجمية واللغوية، حتى لا يصير التأويل شبهة والقراءة منطقاً خارج المنهج إن الفارق بين الفكر العلمي وغيره في التعامل مع الابداع كالفرق بين اليقظة والحلم

«صحيح أن هناك ضياعاً في ميدان المعاني كالضياع الحاصل في الفيزياء حسب قانون كارنو، بقدر ما يبتعد المرء عن عصر المؤلف بقدر ما تضيع أفكاره ويصعب فهم أقواله على وجهها الكامل لأن كل قول صريح يخفي أقوالاً ضمنية يديهية وهذه التي تضيع مع ذهاب الأجيال ولكن هذا لا يعني أن القارئ أو الشارح حر وأن له الحق أن يقول المؤلف ما يشاء.»

لذلك نطرح في هذا المجال منهجاً في التعامل مع الابداع دون أن ندعي أنه المسير، لأن الابداع فوق الحصر والقصر. لكن نرى أن هذا العمل تسطير وفي تسطير السبل بعض المراد.

2- كلام على المقال الأدبي :

المقال الأدبي أفكار وأراء ،	مرتبة ،	في لغة
المحتوى	التخطيط	الأسلوب

* كل محتوى (رسالة) يفترض وجود باث مجهول أو معلوم ومتقبل معلوم عادة وكل موضوع ينقسم ضرورة إلى مقولة وإلى سؤال : (عرض/طلب)
يجب أن يكون في نفس الكاتب (الباث) أمر اقناع نفسه

أولاً واقناع الآخرين ثانياً. إذ يقوم التصوّر غالباً على أن المطالع قد يكون خالي الذهن من موضوع البث، فيجب على الباث أن يفسر له هذا الموضوع

لكن كيف يمكن تحديد الأشكال من الموضوع المقترح ؟ كل موضوع يعبر عن وجهة نظر : أكانت قراءة جزئية أم كلية لأثرها.

ويحاول الباث أن يحملنا طوعاً على الاقتناع بتلك الوجهة. لكن يبقى الموضوع مقترحاً، حالة نظرية أو أرضاً بوراً تحتاج الاستصلاح.

والاشكال في المقال يتحدّد انطلاقاً من فهم المقصود كما يتحدّد داخل الخطاب الألسني الذي يشكّل مرجعية البناء.

لنفترض مثلاً أننا أمام هذه الرسالة :



الرسالة لا تخرج عن فهم ياقوت الحموي (معجم الأدباء) لشعرية المعري «هو شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء»

فالرسالة معادة مختزلة تحاول أن تقنعنا ب :

- (1) بالجانِب الفلسفي في «شعرية» المعري.
- (2) بالشعرية المتفلسفة.

فالمقول يبحث عن دلالة خاصّة داخل رصيد معرفي عام. هناك احساس عادي، يجب أن يتوفّر عند المتقبّل هو : أن الموضوع محدود بتعامل خاص مع الظاهرة الابداعية لأنّه كما أسلفنا قراءة مقنّعة تحاول أن تقنع وتفسّر في

إطار مرجعية خاصة.
لذلك يجب الحرص بدءاً على كشف نية الباحث حتى نضع
الظاهرة في إطارها الصحيح. ونية المؤلف تحدد مستويات
ثلاثة :

(1) المستوى المعجمي :

(2) المستوى التركيبي :

(3) المستوى الرمزي :

لنعد إلى المثال السابق لنجد أن :
المستوى الأول يتجدد من خلال البحث عن دلالاتي :
(شاعر/فيلسوف)
المستوى الثاني يجعلنا على العلاقات الاسنادية داخل
المقول



فالموضوع ينظر إلى أبداع المعري من زاويتين تبدوان
متناقضتين الشعر (لغة الوجدان عادة) # الفلسفة (لغة العقل)
فكيف يجوز اجتماع النقيض بنقيضه في ذات مبدعة
واحدة ؟ ويحصل مع ذلك التوازن ؟

المستوى الثالث يبدو في حمل الدلالات الظاهرة على
مدلولات باطنة فيكون القصد بالفلسفة (العام)
إشارة إلى العقل (الخاص)
فينتقل الحديث من الدلالة الحرفية إلى الدلالة النصية

ويمكن أن نطرح مع هذا المستوى الاشكال التالي :

هل يكمن تفلسف أبي العلاء في مضمونه أم في شكله ؟

وهكذا ندخل إلى نية الكاتب وهي شرط أساسي لخرق
مألوف الكتابة العادية الساذجة.

ب*المقال الأدبي أفكار مرتبة : بعد فهم محتوى
الرسالة وكشف نية الكاتب ((من خلال اظهار المعنى اللغوي
والدلالة للموضوع والانتباه إلى نص السؤال)) نخطط لعملنا
وذلك بتفصيل عناصر المعالجة.



التقديم : ليست المقدمة مجرد تمهيد شكلي للدخول في
جوهر الموضوع بل هي مرحلة أساسية تعكس مدى فهم المحرر
لمختلف أبعاد المشكلة الذي يثيره الموضوع لذلك يستحسن أن
تكون الصياغة بعد الانتهاء من تشكيل مخطط مفصل لأن ذلك
يسر التقديم ويجعله منسجما مع روح التخطيط.

((التقديم ينقل القارئ من واقع معيش إلى واقع تخيلي))
وينبغي أن تضع المقدمة اللبنة الأولى للمنهج (الطريق

الواضح/البرنامج) فتثير قضايا الجوهر بصورة متدرّجة مقنعة
ولذلك يحقّق التقديم الأهداف الثلاثة التالية :

*** التمهيد : (وضع القضية ضمن اطارها الأدبي أو
الحضاري أو التاريخي المناسب...)

يجب أن ينطلق المحرّر من هذا المستوى العام حتّى يبعد عن
الجفاف الذي يلقاه عند طرح الموضوع طرحا مباشرا ويضمن
استمالة المتقبّل عقلا ووجدانا فيخرجه من عالم موجود إلى عالم
منشود ينتزعه من المعيش إلى المتخيّل ويفرض منذ البداية
حضور المحرّر حضورا متميّزا، وبقدر ما يكون التقديم مناسبا
يكون الإقناع بالموضوع أكثر.

ولذلك وجب أن يكون التمهيد

وظيفيا.

عاما.

موجزا.

يتدرّج بالقارئ نحو التركيز على صيغة الموضوع وتحسيسه
بأنّ هناك ما يستدعي طرح المشكل الذي يتضمّنه المقال الأدبي



الذكرى المئوية لوفاة الوزير المصلح "خير الدين"

بقلم : الأزهري النقطي

يعدّ المصلح "خير الدين" من أبرز رجالات الإصلاح في المجتمع الإسلامي في القرن التاسع عشر، وإنجازاته السياسية والإقتصادية والإجتماعية فترة توليه الصدارة العظمى بتونس وبالأستانة شواهد على ما قام به من أعمال جليلة لفائدة الأمة الإسلامية ويعد كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" عقدا اجتماعياً حديثاً جمع فيه أهدافه وإصلاحاته التي أنجز بعضها وبقي البعض الآخر على مستوى التنظير وتكريما لعمل هذا الرجل ولمنزلته المرموقة في تاريخ بلادنا، إحتضنت "دار الثقافة ابن خلدون" أيام : سبّعة، ثمانية وتسعة ديسمبر تسعين وتسعمائة وألف، ندوة دولية فكرية نظمتها "اللجنة الثقافية القومية" تحت سامي إشراف رئيس الجمهورية.

وقد انطلقت فعاليات هذه التظاهرة الثقافية الرائدة يوم الخميس في السادس من شهر ديسمبر وذلك على الساعة الحادية عشر صباحا بكلمة افتتاحية قدمها الدكتور محمد الطالببي... رئيس اللجنة الثقافية القومية إستهلها بمقولة الأديب الألماني ورائد المدرسة الألمانية "غوته" : "إن الذين لا يفهمون الماضي، محكوم عليهم بأن يعيشوه من جديد" Goethe - من مسرحية فوست - Faust- وركز محمد الطالببي كلمته حول الربط بين ماضينا وحاضرنا واستخلص العبرة من حركات الإصلاح في العالم الإسلامي مبرز خصوصية الفكر السياسي الإصلاحي لخير الدين.

ثمّ اعتلى منصة الافتتاح الأستاذ أحمد خالد وزير الثقافة والإعلام الذي أثنى فعاليات هذه الندوة بكلمة قيمة موسومة بـ "خير الدين وتواصل السند الصحيح في عهد السابع من نوفمبر تناول من خلالها أهمية الاحتفال بمائوية المصلح السياسي والمفكر "خير الدين" بمشروعه الاصلاحى الرائد الذي "التقى فيه المفكر بالسّانس" . وأشار إلى الصلة الوثقى القائمة بين خصوصيات الفكر الخلدوني مع معطيات الفكر الخيري (نسبة إلى خير الدين) بمعطيات الفكر الحديث في ضوء واقع تونسى متميّز، والتي ساهم خير الدين بإصلاحاته وبأفكاره في تنويرها وفي إثرائها، وأكد الأستاذ "أحمد خالد" على الأهداف الفكرية والسياسية التي تميز بها فكر "خير الدين" الإصلاحي. وختم كلمته بمقارنة منهجية بين الفكر الإصلاحي لـ "خير الدين" في القرن التاسع عشر وبني المنحى الإصلاحي لسيادة الرئيس زين العابدين بن علي "صانع التحول الحضاري الذي رد الاعتبار لرجال تونس البرورة".

ثم انطلقت الندوة الفكرية التي اشتملت على سبع جلسات علمية وأربع وعشرين محاضرة، وكانت بمثابة "جامعة مفتوحة" طرحت على بساط الدرس العديد من المواضيع السياسية والاجتماعية والثقافية بالإضافة إلى تناول فكر "خير الدين" الإصلاحي ومدى تأثيره في الواقع المجتمعي للسلطنة العثمانية بمختلف قضاياها. وقد تجلّى ذلك في المحاضرات المدرجة في برنامج هذه الندوة الدولية:

1) الجلسة العلمية الاولى : وقد ترأسها الأستاذ "طيب شنتوف من الجزائر" قدم فيها المحاضرات التالية :

أ- محاضرة الأستاذ "رياض المرزوقي" الموسومة بـ"خير الدين وقضايا عصره" ، وقد تمحورت حول القضايا التي تتعلق بـ "مصطفى خزندار- النوازل - ومدى مجابهة "خير الدين" لها ومواقفه منها مستندا إلى وثائق جديدة عثر عليها المرحوم "محمد المرزوقي" وسلمها المحاضر إلى اللجنة الثقافية القومية وتعتبر هذه الوثائق بمثابة مستندات جديدة للمهتمين بدراسة أثر "خير الدين" ثم تطرّق الأستاذ رياض المرزوقي إلى الحملات الصحفية التي نزلت بثقلها على "خير الدين" وإلى مواقف الإنصار والخصوم من إصلاحاته.

ب- محاضرة الأستاذ "ابراهيم شبوح" الموسومة بـ"شهادة معاصر على خير الدين" ، وقد تركّزت هذه المداخلة التي قدمها الأستاذ "عمارة التريكي" نيابة عن المحاضر، حول شهادات قدمها أحد معاصري "خير الدين" على الحركة الإصلاحية التي قام بها خلال توليه الصدارة العظمى بتونس.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

(2) الجلسة العلمية الثانية : وقد انطلقت على الساعة الثالثة مساء والتي ترأسها الأستاذ : "علي الشنوفي" قدّم فيها المحاضرات التالية :

أ- محاضرة الأستاذ "أحمد جدي" الموسومة بـ"إشكالية المثقف والسلطة والنهضة في تونس القرن التاسع عشر من رسائل "ابن أبي الضياف إلى خير الدين" ،

وقد أعتمد المحاضر في دراسته على رسائل وجهها "البابي" إلى "خير الدين" عندما كان هذا الأخير بباريس بسبب قضية "محمود بن عباد" وقد

رجع الباحث في مداخلته إلى خمس وعشرين رسالة، كما ذكّر الأستاذ "الجدى" في بحثه ببعض المصطلحات التي دخلت في معجم "ابن أبي الضياف" ووظفها في رسائله إلى "خير الدين" باعتبار هذه المصطلحات داخلة في الخطاب الذي تعودت عليه النخبة في المجتمع التونسي في القرن التاسع عشر.

ب- محاضرة الأستاذ "مصطفى المصراطي من الجماهيرية الليبية الموسومة بـ"ملاح وجوانب من عبقرية خير الدين فكرا وإصلاحا وإدارة".

وقد تطرقت هذه المحاضرة إلى علاقة "خير الدين بالنخبة ومدى تأثيرها في تجريبه السياسية والفكرية كما لاحظ المحاضر مدى اهتمام "خير الدين" بالمقارنة بين واقع المجتمع التونسي وواقع المجتمع الغربي الذي زاره علما وأن "خير الدين" قام بزيارة عشرين بلدا.

ولم يغفل المحاضر www.ashraf.org "أدب الرحلة" عن "خير الدين" الذي يختلف عما كتبه الرحالون منذ القرن الثالث للهجرة إلى كتابات "رفاعة رافع الطهطاوي" و"فارس الشدياق" وغيرهما.

وقد استشهد الأستاذ المصراطي "بفقرات من كتاب خير الدين " : "أقوم المسالك".

ج- محاضرة الأستاذة "منجية منسية" الموسومة بـ"المصطلح الديني عند خير الدين".

وهي قراءة نقدية أكاديمية في وظيفة المصطلح الديني في كتاب "خير الدين" : "أقوم المسالك" تناولت من خلالها المحاضرة الوظائف

الرئيسية للمصطلحات الدينية الموصفة بمدونة الوزير المصلح والتي تبلور أفكاره الجديدة ونظراته للدين باعتباره دين عبادات وعمل، كما رسمت الباحثة في دراستها خطأ متوازيا قائما في كتاب "أقوم المسالك" بين المصطلح الديني والمصطلح السياسي ولاحظت من خلال نصوص المدونة حضور التماثل والتداخل في العلاقة القائمة بين الكاتب باعتباره مصلحا و منظرًا سياسيا وبين الواقع الديني والإجتماعي والملاحظ أن هذه الدراسة افترقت لجانب الاستشهاد الذي علته الباحثة بضيق الوقت المخصص للمحاضرات .

د- محاضرة الأستاذ "نور الدين الصغير" الموسومة

بـ"المثاقفة وبناء الذات عند خير الدين" وقد اهتم الباحث فيها بعنصر المثاقفة وبناء الذات في فكر "خير الدين" المصلح. وتناول دور جريدة الرائد التي أسسها "خير الدين" في نشر هذه الأفكار التقدمية الإصلاحية كما طرح الباحث كيفية تقبل النصارى "خير الدين" الخاصة منهم حملة القلم لهذه النظرية الإصلاحية الرائدة ولاحظ مدى عزوف خصومه عنها ومواجهتهم لها باعتبارها أفكارا مستوردة من الغرب لا تتماشى وذائقة المحافظين.

هذه المحاضرات قدّمت يوم الخميس في السادس من ديسمبر في سنة تسعين وتسعمائة وألف ، أمّا يوم الجمعة سبعة ديسمبر فقد التّأمت الجلسة العلميّة التالية :

3) الجلسة العلمية الثالثة : وقد ترأسها الأستاذ التركي

"ATTILLACETIN" ، وقدم خلالها المحاضرات التالية :

1- محاضرة الأستاذ "منصف الشنوفي" الموسومة بـ"فن الرحلة

عند خير الدين".

وقد رجع الباحث في محاضراته إلى كتاب "أقدم المسالك" ولاحظ أن الكتاب يشتمل على ستين وأربعمئة صفحة منها مقدمة ثمانين صفحة والكتاب حسب الباحث يتكون من اثني عشر فصلا يضم مصادر عربية مثل كشف المخبأ عن فنون أوروبا... لفارس الشدياق، ومراجع غربية مثل "تاريخ فرانك بيللا للمؤسسات الأنقلازية"، إضافة إلى تركيز "خير الدين... في تأليف كتابه على "مقدمة ابن خلدون... وعلى القاموس السياسي الفرنسي" وعلى الزيارات التي قام بها إلى عشرين بلدا أسماها في كتابه "أقوم المسالك" الدول الكبار والدول الصغار. فالكتاب، حسب محاضراته الأستاذ "منصف الشنوفي" ليس انبهارا بالغرب بل يعد استنهاضا لهمم الشعوب العربية الإسلامية، نوه فيه كاتبه بالأنظمة الكونستيتيوسيونية، وندد بالمقابل بـ "مملكة البابا" و "بروسيا". كما أشار "خير الدين" في أثره إلى مبادئ حقوق الإنسان المتنبئة عن الثورة الفرنسية، ولم يغفل "خير الدين" قضية العزل والحكم بالإعدام القائم في تلك الفترة إذ استشهد "خير الدين" في كتابه بالإعدامات الأربعة التي تمت سنة سبع وستين وثمانمئة وألف في يوم واحد وهم "علي بن غزاهم، إسماعيل السنّي وعادل باي وعلي باش حاميه".

ورغم إهمال "خير الدين" في أثره لعناصر الأنتوغرافيا (دراسة السكان) والعادات والتقاليد وإسقاطه للعنصر الأدبي، وهي عناصر ميزت أطروحات فن الرحلة في الأثر وفي المؤلفات القديمة، يبقى كتابه "أقوم المسالك" ثورة فكرية في القرن التاسع عشر، وقد نمت مراحل تأليف هذه المدونة وطبعها بين سنتي سبع وستين وثمانمئة وألف وثمان وستين

وثمانمائة وألف وقد ساهم في تحريره صفوة من أصدقاء الوزير المصلح وهم :
: "سالم بو حاجب، محمود قبادو، ومصطفى رضوان" يقول "خير الدين" في
أثره : "إنني قمت بتحرير هذا الكتاب مستعينا ببعض أبناء الوطن".
على هذا الأساس، قدم الأستاذ "منصف الشنوفي" دراسة قيمة جمعت
بين التحليل المنهجي لفكر خير الدين الإصلاحي وبين الوظائف الرئيسية
لهذه الإصلاحات التي دونها الوزير المصلح في أثره "أقوم المسالك".

ب- محاضرة الأستاذة الفرنسية : "Magali Morsy" الموسومة بـ
" خير الدين من خلال "قبزو" وقبزو هو وزير الخارجية الفرنسية في عهد
خير الدين.

المحاضرة "Magali" هي مديرة مركز الدراسات الشرقية المعاصرة
بباريس وهي أيضا أستاذة بجامعة باريس ثلاثة، وفي مؤلفاتها تذكر
"المغرب الأقصى في القرن الثامن عشر : تاريخ إفريقيا الشمالية"، وكذا
كتاب "نساء النبي" تحدث فيه عن زوجات الرسول <http://www.riyadulmawana.com>
وقد تمحورت محاضرتها حول فلسفة "خير الدين" الإصلاحية ومدى
اهتمامها بالتصرف والإقتصاد والسياسة والشورى، وبين فكر "قبزو"
وفلسفته السياسية الإستراتيجية التي تعتمد توجهاتها على عناصر
الإنتاج وحسن التصرف والتقدم، ولم تغفل المحاضرة مدى تأثير "خير الدين"
بهذا الرجل السياسي المصلح الذي التقى به بباريس في الفترة التي
قضاها هناك للبحث عن مضاعفات قضية "محمود بن عباد وتأثيرها على
ميزانية الإيالة التونسية.

ج- محاضرة الأستاذ "جيرار فان كريكين" الهولندي

الموسومة بـخير الدين والبلاد التونسية ، هذا الباحث كتب منذ سنوات قليلة مؤلفاً ضخماً وسمه بـخير الدين والبلاد التونسية.

وقد تمحورت محاضراته حول المشروع الإصلاحى لخير الدين وحول الأبعاد السياسية والإقتصادية والإجتماعية التي تمخضت عنه. وقد قسم الأزمات التي سبقت كتاب "أقوم المسالك" إلى ثلاثة أقسام وهي على التوالي :

- الأزمة الإقتصادية المتمثلة في تفاقم الديون التونسية إزاء الدول الأوروبية الشيء الذي أدى إلى تدخل اللجنة المالية الأوروبية ووضع يدها على ميزانية البلاد.

- الأزمة السياسية المتمثلة في فشل محاولة الإصلاح الأولى الخاصة بمعاهدة الأمان سنة سبع وخمسين وثمانمائة وألف أو إعلان الدستور سنة واحد وستين وثمانمائة وألف.

- الأزمة الإجتماعية الخائفة التي أنتجتها الضرائب المجفة مما أوجد غضبا شعبيا فتوج بثورّة علي بن عذاهم سنة أربع وستين وثمانمائة وألف.

ثم تناول المحاضر موضوع الخطاب السياسي وفكرة المقاييس التي اعتمدها "خير الدين" لإنقاذ الإيالة التونسية من وضعها الإقتصادي المتردي.

4) الجلسة العلمية الرابعة : قدّمت مساء يوم الجمعة، وقد ترأسها الأستاذ "منصف الشنوفي وقدّم خلالها المحاضرات التالية :

1- محاضرة الأستاذ التركي "ATILLACETIN" الموسومة بـخير العين باشا في وثائق الأرشيف العثماني بتركيا ثمان وسبعين وثمانمائة

وآلف وتسعين وثمانمائة وآلف .

وقد رجع المحاضر في دراسته إلى عهد السلطان "عبد الحميد الثاني" وانتقال الوزير "خير الدين" من الإيالة التونسية إلى الأستانة سنوات سبع وسبعين وثمانمائة وآلف وتسعين وثمانمائة وآلف. وركّز عن فترة تولي "خير الدين" الصدارة العظمى للسلطنة العثمانية وعلى العراقيل التي واجهها في سنوات تسييره لإدارة الخلافة العثمانية بالإضافة إلى ملاحظاته حول مشروع الإصلاح الذي قدمه "خير الدين" كما أثبت المحاضر من خلال قراءته لوثائق الأرشيف أن "خير الدين" قدّم استقالته للسلطان "عبد الحميد الثاني" في تسع وعشرين من شهر جويلية لسنة تسع وسبعين وثمانمائة وآلف.

ب- محاضرة الأستاذ "توفيق بشروش" الموسومة بـ"العثمانية والعثمانية الجديدة جمع وتحليل. آثار المحاضر في هذه الدراسة جملة من النقاط الوثيقة الصلة بفكر "خير الدين" المصلح، ووقف عند مواقف الوزير من قضايا عصره، كما رجع إلى موقف "محمد الثاني" فاتح استطبول من العلماء في القرن الثاني عشر ميلاديا حيث عارضهم وقال بالنظام، وهذه الإشكالية المزمّنة بين الشرع والقانون نظر إليها "خير الدين" بحصافة وبعد نظر على أساس تشريك العلماء في تسيير شؤون الدولة إذ يقول : "إن مشاركة العلماء في تسيير المدينة ضرورة"، على هذا الأساس، قام "خير الدين" بالفصل بين العبادات والمعاملات ونظر بكل موضوعية إلى العلاقة القائمة بين الدين والشرعية وبين الدولة والقانون ولاحظ المحاضر مدى تأثر "خير الدين" بالمدرسة السوسيولوجية الفرنسية "مدرسة دركهايم" وبمشروع لويس السادس عشر وبدستور احدى وثمانين

وثمانمائة وألف، وأيضا قانون "قيلا ركي" "La charte de Gularé"، الألمان المساواة والعدل، والدستور الذي اعتمد "خير الدين" حسب المحاضر يبيع للجيش إقالة السلطان وهكذا، أثار "خير الدين" الجدلية القائمة بين الشريعة المنزلة والقانون الوضعي، وهذه حيلة تلاحق رجال الإصلاح على مدى أحقاب من الزمن.

ج- محاضرة الأستاذ "خالد قزمير" الموسومة بـ"حضور خير الدين في الفكر السياسي المعاصر".

وقد تناول الباحث في مداخلته فكر "خير الدين" المصلح والأبعاد السياسية والإقتصادية والثقافية التي تناولها لكسب الخصوصية ولبناء الذات الوصية. وقف المحاضر عند جملة من العناصر الرئيسية التي لاحقت "خير الدين" فترة إدارته للصدارة العظمى بتونس وبالأستانة، كما تطرق الباحث إلى كثرة الخصوم وقلة الانتصار إضافة إلى طموح الوزير "خير الدين" لتطبيق النظريات الإصلاحية التي تشجع بها خلال الزيارات والرحلات المكثفة التي أداها إلى الدول الأجنبية، تنضاف إليها خشية الصدر الأعظم من عامل الوقت الذي يخدم مصلحة الخصرم وخوفه من تصدع الدولة بسبب العوامل الداخلية والخارجية التي تتربص بها.

الشاعر

شعر : محمد بن جماعة

يا أيها السَّاكِنُ في دمي...
يا أيها الشَّوْقُ الذي فرَّ،
في عتمة الليل/انتظرُ
ضوء الصُّباح،
إنَّكَ العابرُ في داخلي،
كسفينةٍ،
كالْمِيةِ الجَمْرِ،
متوزِّعا،
كالعطر في صدر رضيعٍ حالمٍ،
هل لك دمي مباحٌ؟

* * * * *

يا واقفا تشدُّو
بلحن للضياء
هذي قلوب اللفظِ تنتظرُ هنا
زرعا وماء...
ويقولُ من خلفك طفلاً
من شرق ومن أقصى..
حجرٌ، حجرٌ

مدخل إلى فقه أسماء وألقاب الأعلام :

* 2 = « الاونوماستيكا » المتوسطة في تونس

بحث = محمد بن الأصفر - المحامي -

تذكير :

رأينا في الحلقة الأولى من هذا البحث ما يتعلق بالاونوماستيكا العثمانية في تونس وبيناً طبيعة الصعوبات التي تعترض الباحث الاونوماستي لمعرفة أصول الألقاب العثمانية...
في هذه الحلقة الثانية نحاول استعراض الصعوبات المتعلقة بالألقاب التي تدل على انحدر متوسطي ORIGINE MEDITERRANEEENNE باستثناء الألقاب الواحدة من منطقة المغرب العربي الإسلامي والاندلس وتركيا التي سبق تخصيص جانب من الحلقة الأولى لها...
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

(1) البرتغال :

إن لقبا مثل برتقيز يدل الدلالة الواضحة على الانحدر من البرتغال وهو موجود في تونس وهذه الصيغة في حد ذاتها تحجب اللقب الأصلي للعائلة المعروفة بلقب برتقيز وهي في الحقيقة أكثر من عائلة وفي أكثر من جهة داخل الجمهورية ، ونذكر على وجه الخصوص يوسف بن محمد برتقيز... المشهور بالإمام الزغواني...
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

(2) اسبانيا وهزر المايورك :

معلوم ان اسبانيا قد أصبحت قطرا مسلما عرف باسم الاندلس (من سنة

711 م إلى سنة 1492م) وذلك في جزء مهم من تراثها لذلك فإن دراسة
الألقاب الاندلسية الواقعة على تونس ستكون ضمن الحلقة الخاصة
بالألقاب المغاربية في تونس وإن هذه الحلقة من البحث لا تتجاوز
حدود الألقاب المتوسطية... ..

فمن اسبانيا وفدت القاب إلى تونس نذكر منها ككتلان (يُنطق في
حاضره تونس بتفخيم حرف اللام)... .. وكاتالونيا CATALUNYA هي
منطقة تقع في الشمال الغربي لاسبانيا وعاصمتها الحالية هي برشلونه .
وتوجد تحت الحكم الاسباني جزر البالياراس ILES BALEARES
وتسمى عاصمتها بالملة و بالملة دي مايورك وقد وجدت عدّة عائلات وهي
تنحدر من هناك... ولم نعثر على لقب الميورقي نسبة للمايورك في
البلاد التونسية بخلاف ما هو موجود في المغرب الأقصى ويبدو أن
العائلات ذات السند العلمي تجعل لقبها الميورقي اذا وفدت من هذه الجزر
على ان العائلات غير العلمية تتخذ لقب بالملة اذا اتت من تلك الجزر...
ونذكر من الحالات الشاذة القسيس الميورقي ترمودا TURMEDA
لكنه يسمى في تونس عبد الله الترجمان.

أما الألقاب الموريسكية فستراها هي الأخرى في الحلقة الخاصة
بالألقاب المغاربية باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الألقاب الاندلسية بالرغم من
ظروفها المعروفة. <http://Archivebeta.Sakhril.com>

(3) فرنسا وانقلترا :

من الأمور الواضحة أن لقباً مثل الفرنسي أو لنقليز يدل دلالة
واضحة ولا تحتاج الى البرهنة على الأصل الفرنسي أو الأنقليزي... وهي
كصيفة لقبية مثل سابقتها تحجب اللقب الأصلي للعائلات الحاملة لمثل هذين
اللقبين في تونس وفي قلبية وفي غيرهما... ..

(4) ايطاليا :

تعتبر ايطاليا من أهم البلدان غير الاسلامية أو غير العثمانية (مثل
اليونان) التي أعطت مادة لقبية للبلاد التونسية... .. ففي تونس يوجد لقب

نبلطان NAPOLITAINS نسبة لمقاطعة نابولي الإيطالية اليوم وبعد تحقيق الوحدة الإيطالية وكان البابيليطاليون يشكلون خاصة نوعا من المالك عند الحسينيين وهم الماشاشوات (راجع الحلقة الأولى من هذا البحث - مجلة الإتحاف عدد 1991/28).

ويوجد في البلاد التونسية لقب جنويّز وهو يدل على انحدار حامليه من جنوة GENOUA التابعة اليوم لإيطاليا الموحدة.

وهناك لقب الصقلي الذي ينطق بتحريف جعله : الزقلي (ينطق حرف القاف مثلما ينطق المصريون حرف الجيم في لهجتهم الدارجة)، وهذا اللقب ندرجه باحتراز شديد لأن جزيرة صقلية من الأراضي الأوروبية المسيحية التي فتحت من طرف المسلمين وقد نبين هنا إلى أن هذا البحث يتعلق بالبلدان التي اعطت لتونس مادة لقبية مجرد أنها متوسطيّة وليس بسبب انتمائها بشكل أو بآخر للقضاء العربي الإسلامي ونذكر على وجه الخصوص عبد الرحمان بن محمد عبد الله البكري الصقلي ثم القيرواني.

5) جزيرة مالطة : ARCHIVE

إن مالطة تتكوّن من ثلاث جزر أساسية هي <http://www.visitmalta.com> لاقاليت وهي العاصمة وفيكتوريا وكومينو... وتوجد بالجزيرة الأولى بلدة تسمى مسيدة MSIDA وهي تذكّر بلقب المسديّ الموجود خاصة بصفاقس وكان موجودا بتونس العاصمة... قلت تذكّر ولم أفترض أن اللقب ينحدر من هناك... أما في جزيرة فيكتوريا المالطية فإنه هناك بلدة تسمى شلندي ومن الصدف أن لقباً داخل البلاد التونسية يطابق تماما اسم هذه البلدة وهو شلندي...

6) البانيا :

إذا كانت بعض البلدان العربية مثل مصر يوجد بها لقب الباني فإنه غير موجود بتونس لكن لقباً كثير الانتشار بالعاصمة التونسية وبالمدن التونسيّة الأخرى وهو الارناؤوط وينطق لرناءوط وهو يعني

عند التونسيين الالباني وهناك قيافة أي نوع من لباس يسمى لباس
لرناووط ويقال له ايضا المحصور ...

(7) اليونان وجزر كريت وقبرص :

مثلما رأينا القابا واضحة الانتماء مثل : فرنسيس و لنقليز فانه
هناك لقب كان قد وجد بالبلاد التونسية وهو قريق (ينطق حرف القاف
في المرتين مثلما ينطق المصريون حرف الجيم بلهجتهم العامية) وهو يشير
إلى الاغريق أي اليونانيين واذا اختفى هذا اللقب بعد حمله مراد
قريق الذي كان سيصبح دايا بعد أحمد خوجه مثل دايات الجزائر الذين لا
يتزوجون حتى يكونوا بمثابة الابهاء لكل الجنود؟
وهناك عدة عائلات تحمل لقب مورالي وذلك دليل على انحدرهم من
جزيرة مورة اليونانية ...

وبشكل أشد يوجد بالبلاد التونسية، بالعاصمة وداخل البلاد لقب
القريتلي (وينطق حرف القاف مثلما ينطق المصريون حرف الجيم في
لهجتهم العامية)، وهو تحريف كلمة كريتلي نسبة لجزر كريت ILES DE
CRETE ومن أشهر القريتليين حسين بن علي باي الكريتلي (أو
الكريتلي) ولو أن حفيد أحمد باي الثاني الدكتور المختار باي قد
توصل الى إثبات ان حسين بن علي من أصل ايطالي وجده هو بينيديتو
اورساني BENEDETTO-ORSANI (راجع الحلقة الأولى من هذا البحث بمجلة
الإتحاف عدد 1991/28) ، أمّا لقب القيرصلي فهو يدل على انحدر واضح
من جزيرة قبرص CHYPRE بين اليونان وتركيا.

(8) بقية المنطقة البلقانية والبلطيق :

1- جورجيا: جاء للبلاد التونسية من هذا البلد لقب القرجي
(ينطق القاف مثل ما ينطق المصريون حرف الجيم في لهجتهم العامية)
وتسمى اليوم GROUZIIA وتقع على حافة البحر الأسود وواضح أنه لا
علاقة لهذا اللقب التونسي بجورجيا الأمريكية المطلة على المحيط الأطلنطي

... ..

ب- البوسنة : وصل البلاد التونسية من هذه المنطقة لقب بوشناق وهي (BOSNIE) وقد كانت اتحدت مع (سربيا SERBIE) وهي اليوم من الفدرالية اليوغسلافية.

ج- موسكو : إن موسكو التس أرادت أن تصبح «روما الثالثة 3eme ROME» باعتبارها عاصمة الكنيسة الروسية بعد سقوط القسطنطينية قد أعطت لتونس لقباً مطابقاً تماماً لاسمها موسكو وهي عائلة محدودة العدد من سكان الحاضرة اشتهرت في العقود الأخيرة بالمليقات أي توقيت الصلوات والشعائر تبعاً لذلك.

د- بوخارا : هي من المقاطعات الإسلامية في الاتحاد السوفياتي وقد تكون أعطت لتونس لقب البوخاري أو البخاري والجدير بالملاحظة أن هذا اللقب أقدم من تواجد الامبراطورية العثمانية في الشمال الافريقي ذلك أن من معاصري محرز بن خلف شخص يلقب البوخاري وهذا يعني أن اللقب البخاري وجد بحاضرة تونس وهي لم تصبح بعد عاصمة لافريقية لذلك قلت قد تكون منطقة بخارا قد أعطت لتونس هذا اللقب ويمكن أن يكون التدين بالإسلام هو سبب هذا اللقب لأن التونسيين يعظمون من بين الصالحين صحيح البخاري الذي وضعه الإمام البخاري وهم يحلفون ويستحلفون به.

و- التتار : إن التتار مثل الأزيك من الأقليات التي ما تزال تحافظ على خاصياتها الثقافية في صلب اتحاد الجمهوريات السوفياتية المتحدة TATARS هناك أيضاً تتارا يسمون أيضاً توتار TARTARES من أصل تركي ومنغولي MONGOLES ... ولسناندري أي الفريقين قد أعطى لتونس لقب تتار الذي حمله الباش بلهوان : المسمى محمد تتارين عصمان وكذلك أحد الدايات ... أما الذاكرة الشعبية فإنها تعتبر التتار من أوحش الكوابيس التي حلت بالأهالي إذ هم يصفون كل حكم جائر ومؤذن بالخراب بقولهم : «حكم التتار في القسبة» ...

هذه جولة «أونوماستيكية» واضح أنها لم تكن متوسطة (نسبة

للبحر الأبيض المتوسط) بالمعنى الصارم وإنما تعرضنا للالغاب سواء كانت من الجزر المتوسطية (مايورك - صقلية - مالطة) أو من البلدان ذات ساحل على البحر الأبيض المتوسط (اسبانيا - إيطاليا - فرنسا - البانيا) أو من بلدان يكون البحر الأبيض المتوسط بمثابة البوابة التي تصل بيننا وبينها (انقلترا - البلقان - البلطيق...) وتبقى اشكالية تخص الاسكندرية

1- الاسكندرية : يوجد بالبلاد التونسية لقب الاسكندرائي وينطق سكندرائي يمكن أن يتصل بهذه الحلقة من بحثنا إذا كانت اسكندرية الإيطالية الواقعة على التانارو TANARO من نهر البو (PÖ)... ذلك أنه كما هو معروف توجد اسكندرية أخرى بمصر الواقعة غربي دلتا النيل والتي لئن كان من الفضاء المتوسطي فإنه يمكن أن تخرج بنا عن إطار هذه الحلقة من البحث لأنه ستكون لنا -بحول الله- حلقات أخرى نتعقب من خلالها مصادر وروافد اللقب العائلي التونسي حسب تقسيم جغرافي تفرضه شروط منهجية... والأرجح أن تكون الاسكندرية ضمن فضاء آخر لا يمكن تعييه الآن فالاسكندرية المصرية القبطية لها علاقات جد قديمة مع البلاد التونسية تعود إلى انشاء دار الصناعة والاسكندرية بصفة عامة مدينة من العالم الإسلامي وهي بهذه الصفتين ستكون موضوعا لبحثنا الأونوماستيكي.

يتبع

ملاحظة :

إن عدم ذكر المصادر من طرف الكاتب مقصود وليس من باب النسيان أو السهو.

* الحلقة الأولى منشورة بمجلة «الإتحاف» عدد 28 مارس - أبريل 1991 - سليانة.

رسالة على زناد البندقية

أنا العاشق
إذ ما رأيت جرحك الغائر
يسيل دمي
فتحتضنني الأرض
وأقوم حياً أهدّ صمت المقبرة
دمي المهرق نبذة غضب
يزرعها الطغاة



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

* * *
ألقيت جسمي
على شاطئ العبرات
أحفر بالحجارة إسمي
إسمي أعمق من الإسماء
إسمي الفجر
إسمي الندى
يوقظ الأحلام النائمة
وبأسمك كنت أبني هيكلي
ومن إنكسار ظلّنا
وهذا الصدا
كنت أهدّد شكلي
وشكل المرحلة

* * *

الليل يتوسّد صدر البحر
وحبيبتني

كانت تحمل البحر زرقة في عينيها
وتسكنني عبرة، في إناء المقصلة
يا أيها الدَّم المعلق...

* * *

يا أيها الجسد الموزع
على طابور الجياح أرغفة
انتظرنني في بقاياك إنتظرنني
في إنكسار الأمواج شظاياك... إنتظرنني
لا أبا يرتضيك ولا السلطان يسمعنا
لا ندرى إن كنا نتبع الجرح
أم أن الجرح يتبعنا
فانتظرنني في بقاياك إنتظرنني
ودع الطريق يجمعنا



* * *
ARCHIVE

<http://Archivebe.net>

...لا خير فيكم وهذا الدَّم يقتلني
للورد أشواك وهذي الرِّيح تشخذني
تنحتني منجلا، وعلى الشَّمس تزرعني
للعشب إرتعاش في مفاصلي
حين يعلو دمي نجوما وقمر
وللحب إنسياب في دمي
حين يمتزج الأحمر بالأحمر
فيا يدا تمتدّ بالحناء مخضبة
وللبارود طلقة العرس
تعلو الجبال أحجارا
وطفل الحجارة يكبر.

نور الدين الطاغوتي

أسطورة ليلي والإله

محمد الهادي الطاهري

تثن المساربُ حين أغادرُ لَيْلَى
وحيث أزورُ
تميل مع الشمس لَيْلَى
تموتُ الينابيعُ ظمأً
وتأتي السماء دماراً إذ البحرُ
قال: هربتُ فما عدتُ أقوى.
وحيث تلوحين لَيْلَى
أفيض دُموعاً
بحاراً أفيض
أبكي على وجه لَيْلَى.
تلوحين كالبرق لَيْلَى
وليلي أضاءتُ شموعاً
لتطعم طفلاً
وتعطيه لَيْلَى إذا جاعَ
جوعاً.
أنادي.
أمزق صمتَ المدينة حين أنادي.
أنادي.
تُغادرُ كلَّ العذارى
الدياراً،
إذا بتُ لَيْلَى أنادي
وليلي أنادي.
يجيء النداء من الله وحيّاً
ويرتد حين أنادي جَهراً
تجيشين لَيْلَى.
وفي العين يثوي الإلهُ
خجولاً،
ويرسل من تحت أهداب عينيك ثوراً.
يُطلُّ الإلهُ خجولاً
يطاطسُ رأسه حيناً
وحيث
يمدُّ يديه إلينا.
وحيث يودُّ الرجوعاً
أموت احتراقاً
أموت اشتياً
وجوعاً
وتنثر لَيْلَى على الورْدِ دُمعاً
فتطفئ ما قد أضاءتُ
شموعاً.

سليانة في نوفمبر 1990

- تَحَدُّ -

محسن الفريجي

يا قاطعاً حبل ودي وساعياً نحو بُعدي

تريد تركي وحيـداً بين المنى والتَّحدي

وتحجب الرُّسل عني تريد صدأ يمسـداً

إن كنت تسعي لـحـداً فلست تبلغ حـدي

ولست تهرب مني تريد تضییع مجـدي

أما كفاك عذابـي ما بين سُهـدٍ ووجـدٍ؟!

فلست أكذب قـولا ولست أخلف وعـدي

ولست أفقد صبـري من بعدما ضاع عهدي فمن

إن كنت تقصد قتلـي سيهواك بعـدي؟!

دعيني

دعيني غلّقي بابي
دعيني بين احزاني
دعي لي البحث عن ذاتي
فصعبُ فهمُ ما ألقى
فهمي نام واستلقى
فبالاحساس كم أشقى

لحظات عشق



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كوني كما شئت ان تكوني،
فلن تكوني.
أنا أحيا بحجابي.

لست أصغي لقوادي أو قنوني،

أيّتها السمّ المحلى

بالغرام الأفلطوني.

عشوق فغدرت

ولعبت بالظنون

كمُ خيالاً قد سجت

وأسرت من جنون

هل ترى يأتي يومٌ ؟!

حمدة المنصوري

في رحاب العلم

رحلة في أعماق الحكيم الدكتور
الشاذلي بوزكورة



*الرقم 1 يعني المجيب

*الرقم 2 يعني السائل

1- إنَّ الأنسجة والخلايا المرُضية علم حديث يعود تاريخه إلي يوم اختراع المجهر. ذلك أنَّ الخليَّة بصفة عامة تتعذر علي الإنسان مشاهدتها بالعين الباصرة لأنَّ قياساتها غالبا ما تكون دون نسبة 2/ من المليمتر والمجهر أوجد حلا لرؤية الخلايا وفحصها فحسا دقيقا وتشخيص الإصابات التي قد تلتحق بها.

وما يبعث الأطباء علي الارتياح أنَّ بعض المجاهر الدَّقيقة تمكَّن من

تكبير صورة الخلية بقدر خمسمائة ألف مرة ومثل هذه المجاهر الدقيقة قد تتوفر في بعض معاهد البحث في تونس . ومن العلماء المؤسسين لعلم الانسجة والخلايا المرضية العالم الألماني رُودولف فيركُوف (Rudolph Virchow) الذي عاش في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولدينا الآن في كل مستشفى استشفائي جامعي قسم مختص في هذا الميدان يباشره أخصائيون تونسيون يتولون تشخيص الإصابات داخل الخلايا والانسجة ومن هؤلاء أحد رجالات تونس.

2- فمن هو هذا الحكيم ؟

1-إنَّه الدكتور الشاذلي بوزكورة الأستاذ المتخصص في معالجة الأنسجة والخلايا المرضية. فهل ترغب في الاستماع إلى لمحة عن مراحل حياته الدراسية والمهنية وما اقتضته منه من الزمن والجهود المتواصلة ؟

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

2- لكم أكون سعيدا وفخورا بعلماء بلادي !! فمن يكون عالمنا هذا ؟

1- الشاذلي بوزكورة طبيب مختص في الأنسجة والخلايا المرضية من مواليد قليبية سنة 1930، أعزب زاول تعلّمه الابتدائي في قليبية وتابع دراسته الثانوية بالمدرسة الصادقية في تونس أما تعليمه العالي فقد زاوله في قسم منه بفرنسا وهو قسم قصير أما القسم الطويل ففي سويسرا.

2- قلت لي إنَّه أعزب وهو الآن في بحر الستين. ألا تفسّر لي سرّ هذا الحياء عن الحياة الزوجية ؟

- 1- أرجوك ألا تسبق الأحداث. فالإجابة عن مثل هذا السؤال أدعها إلى مجال آخر. أما الآن فبودّي أن أحدثك عن شهادته العلمية والدرجات التي ارتقى إليها في درب التفوّق العلمي. فهل تسمح لي بذلك؟
- 2- أجل، ولمَ لا، تفضّل فكلي أذان مصغية إليك.

1- لقد أحرز عالمنا شهادة الدكتوراه في الطبّ من كليّة الطبّ بلوزان Lausanne وهي إحدى المدن الكبرى مع مدينة جينيف من المنطقة السويسريّة الناطقة بالفرنسيّة وكان ذلك عام 1963 وبعد ذلك درّس اختصاص الأنسجة والخلايا المرضيّة (=Anatomie et cytologie pathologiques) في معهد بجينيف يشتمل على هذا الاختصاص حيث مكث ثماني سنوات ثم بعد ذلك عاد إلى تونس وشارك في مناظرة الأساتذة المحاضرين عام 1973 بنجاح ومن ذلك التاريخ أو بالأحرى بعد سنتين منه أي سنة 1975 نقل إلى مدينة سوسة حيث درّس نفس الاختصاص في نطاق كليّة الطبّ بسوسة. ثم أصبح عميداً في نفس الكليّة إلى غاية شهر أفريل سنة 1985 وابتداءً من فيفري سنة 1986 باشر مهامّ مدير جهويّ للصحة بولاية سوسة ومنذ نوفمبر سنة 1987 عين رئيس جامعة الوسط.

2- ممّ تتكوّن هذه الجامعة أرجوك ؟

1- تتكوّن جامعة الوسط من اثنتي عشرة مؤسسة وتجمع داخلها اثني عشر ألف طالب، وفي هذه المؤسسات قسم موجود في ولاية المنستير يضمّ ستّ مؤسسات وقسم في ولاية سوسة يجمع خمس مؤسسات ومؤسسة واحدة في ولاية القيروان. وتشتمل جامعة الوسط على ما يقارب ستّمائة إطار للتدريس.

2- إنك عدت لي شهادته العلمية الهامة ومختلف المناصب التي حظي بها وكذلك قدمت لنا فكرة واضحة دقيقة عن جامعة الوسط وهذا لا يخلو من الدلائل على ما يتمتع به حكيمنا من المكانة العلمية إلا أن شوقنا إلى معرفة إسهاماته وإضافاته العلمية يضمننا، فهل لك في إراحتنا وحفزنا على الاعتزاز بما قدمت تونس من إسهامات أو تجارب أو إضافات علمية في شخص الدكتور الشاذلي بوزكورة ؟

1- لو تأنيت قليلا لكنت سمعت مني الجواب قبل أن تقيم السؤال، على كلّ سائبن لك فضل عالمنا في ميدان الانسجة والخلايا المرضية وما أسفرت عنه بحوثه إلا أنني قبيل ذلك أود أن أحيطك علماً بأنه قام بمهمة التدريس من سنة 1975 إلى غاية سنة 1987 وقد أسهم بالتالي في تكوين ما يقارب ثمانمائة طبيب.

2- قد وعيت دوره في التدريس وتكوين الأجيال لكن هل من عودة إلى بحوثه لو سمحت ؟

1- لقد قام بعدد البحوث أذكر منها عشرين أطروحة لنيل الدكتوراة في الطب (= دكتوراة دولة) في ميادين مختلفة وما يناهز خمسين منشورا في مجلات علمية جلتها خارج الوطن وكذلك ما يقارب مائتي بحث وقع تقديمها في ملتقيات علمية في تونس والمغرب العربي وعديد الدول الأوروبية وأمريكا الشمالية وهذه البحوث تتعلق جلتها بكيفية بروز العلامات الأولى للأمراض السرطانية وتعيين نسبة هاته الأمراض في الأجهزة المختلفة لجسم الإنسان.

2- وماذا بيّنت هذه البحوث ؟

1- إنّ هذه البحوث من الأهمية بمكان. فقد بيّنت أنّ عدد الأمراض السرطانية منخفضة بالنسبة لما تشهده أوروبا ذلك أنّ هذا العدد في القارة الأوروبية يرتفع إلى ضِعْفَيْ ما يوجد في تونس أو ثلاثة أضعاف ذلك بالنسبة للرجال أمّا نسبة إصابة النساء به فترتفع إلى ثلاثة أضعاف ما تشهده أوروبا وقد يرتفع إلى أربعة أضعاف ذلك. وهذا مرّده بالخصوص إلى المحيط الجغرافي وإلى كَيْفِيَّة العيش من الأساس. هذا وإنّي أسهمت في تكوين قسم مختصّ بتسجيل جميع حالات السرطان بولاية سوسة ومتابعة هذه الأمراض منذ ثلاث سنوات، وفي كلّ سنة أنشر كتيباً يتناول بالدّرس هذا الميدان، يوزّع على كامل إظهارات الطّبّ بسوسة لإحاطتهم بجميع الحالات الجديدة بالنسبة لهذا المرض من حيث الجنس والعمر ونوعية السرطان ومدى خطورته وكَيْفِيَّة انتشاره في الجسم.

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

2- هل لك أن تبين لنا الأجهزة التي يصيبها السرطان حسب

حكيمنا ؟

1- سؤال وجيه جدّاً. لقد بينت الأبحاث التي قام بها توزّع السرطان في بعض الأجهزة كالجهاز الهضمي والجهاز التنفسي والجهاز البولي والجهاز التناسلي وهو ما زال يصعد البحث رفقة زملائه وأعضاده عن مدى إصابته للأجهزة الأخرى كالجهاز العصبي والجهاز العظمي والجهاز الجلدي، وقد تبين أنّ نسبة الأجهزة المصابة بالسرطان بالنسبة للرجال هي كالآتي : الجهاز التنفسي 28٪ والجهاز الدّموي 13٪ والجهاز البولي 11٪ والجهاز الجلدي 9٪

والجهاز التناسلي 7٪ . أما بالنسبة للنساء فالأجهزة المصابة أكثر فأكثر هي التالية : الجهاز الهضمي 19٪ والجهاز الجدي 16٪ والجهاز التناسلي 15٪ والجهاز الدموي 13٪ والثدي 12٪ ، وهذه النسب تعني نسبة الإصابة بالنسبة لمائة حالة إصابة. استنتج باحثنا كذلك أن التوتسي ينغرد بالإصابة أكثر بالنسبة لبقية الشعوب الأوروبية في Gencive أي اللثة، وRhynchopharynx أي الجزء الأعلى من البلعوم، والأنسجة اللينة (Tissus =mouss) وثدي الرجال أما فيما يتعلق بانتشار السرطان بالنسبة لبعض الأجهزة فهو كالآتي :

* الجهاز الهضمي : يبرز السرطان أكثر فأكثر في المعدة والأمعاء الغليظة والكبد ثم الطحال

* الجهاز التناسلي : الأعضاء الأكثر إصابة هي الثدي ورأس رحم المرأة ثم البويضات ثم هيكل الرحم.

* فيما يتعلق بالجهاز البولي تشمل الإصابة عادة الحويصلة البولية (Vessie=) والكلية (Rein=).

2- ما هي النصيحة التي يقدمها هذا الحكيم لتجنب مرض السرطان؟

1- إن السرطان مهيو لأن يظهر في أي عمر كان أعني بذلك من يوم الولادة إلى آخر الحياة ومن حسن الحظ أنه في بعض الحالات يمكن تجنب هذا المرض إذا اتخذنا الوقاية اللازمة وخصوصا في الأعضاء التي يمكن مراقبتها

بسهولة مثلاً يمكن أن نقى أنفسنا من سرطان الثدي أو سرطان رأس الرحم أو سرطان المعدة أو سرطان الأمعاء أو سرطان الجلد بواسطة فحص دقيق مرفوق ببعض تحاليل بسيطة.

2- قبل أن أنتقل إلى سؤالك عن رأي باحثنا في الطبّ المغربي بودّي أن تذكر لي مساهماته وإنجازاته البنائية، فهذه الأخيرة تعدّ منارات بحق لطلابنا خاصةً وأنّه رئيس جامعة الوسط ؟

1- حقيقة أنّ باحثنا أسهم في تحقيق وبعث إنجازات بنائية عديدة في السنوات الأخيرة. ومن ذلك نذكر له :

* رسم كلية الطبّ بسوسة وتشبيدها

* رسم كلية الطبّ بالمنستير وتشبيدها

* رسم المركز الاستشفائي الجامعي بسبيي سهول بسوسة الذي يحتوي على ستمائة وخمسين سريراً.

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

* بعث كلية الآداب بسوسة

* تحسين طاقة إيواء الطلبة بإضافة سبعمئة سرير في سوسة وأربعمئة سرير بالمنستير.

* بعث مطعم جامعي لأربعمئة طالب بمدينة المنستير.

2- لقد فاتني أن أسالك عن سبب اختياره لاختصاصه هذا ؟ فما هو لو تفضلت بذلك ؟

1- إنّ هذا السؤال يتعلّق بنفسية الإنسان وميولاته ونزعاته منذ عهده المبكر. فقد كان صاحبنا منذ صغر سنّه يفكر في الإعانة وتقديم

الإسعافات إلى الغير بشتى الوسائل، وإن مهنة الطب تعدّ من المهن التي تمكّن من تحقيق هذه الأمنية ذلك أنّها تنبني أساسا على الإنسانية في أحلى مظاهرها. أمّا الآن فدعني أحدثك عن الطبّ المغربي. هناك أبحاث في نفس الميدان على المستوى المغربي إلا أنّها لم تتوصّل إلى حدّ الآن إلى توزيع مدقق لحالات السرطان بالنسبة للأجهزة البدنيّة المختلفة وكذلك بالنسبة لعدد السكان الذكور منهم والإناث ونحن بحول الله سنحقّق ذلك أنا بمعونة أعضادي في ظرف لا يتجاوز السنتين القادمتين.

أمّا عن صلة الأطباء الشبان بهذا الاختصاص فبودّي أن أشير بادئ ذي بدء أنّ هذا الاختصاص اختصاص صعب لأنّه يتعلّق بكامل الأجهزة البدنيّة ولقد قمت في هذا الميدان منذ سنة 1976 بتكوين قسم يشتمل على خمسة مساعدين استشفائيين جامعيين إلى حدّ الآن وأربعة مقيمين في طور التكوين كلّ هذا المنطقة الوسط التونسي.

ولعلمك فإنّ هؤلاء يمثلون العدد الأدنى من الاختصاصيين المطلوبين في هذا الميدان وننتظر بحول الله تكلّف أطباء آخرين لتسديد الطلبات في هذا الميدان.

2- بعد هذه التلمحة الدقيقة عن الطبّ المغربي ومدى إقبال الشبان على مثل هذا الاختصاص فهل لك أن تبين مدى اعتراف الدول الغربية بما توصّلت إليه تونس في ميدان "الأنسجة والخلايا المرضيّة" ؟

1- لكل بلاد جغرافيّة خاصّة في ميدان السرطان وجغرافيّة السرطان في تونس لا يمكن أن يقوم بها إلا التونسيون وقد أبرزنا في الوقت الحاضر نصيبا كبيرا من هذه الجغرافيّة التي يعتمد عليها المختصّون التونسيون والأجانب عندما يعالجون هذا الميدان في نشراتهم وأبحاثهم.

2- أخصب فترة في حياتك ؟

1- إنَّها هذه الفترة التي تسبق فترة تقاعدي بقليل إذ أنَّ التجربة التي اكتسبتها تمكنني من التنسيق بين زملائي وأعضادي الذين أتعامل معهم وكذلك تؤهِّلني لإسداء آراء متزنة ومركزة وهي زبدة أفكاري وحصيلة تجاربي التي من شأنها أن تعين على تحقيق أكمل في ميدان البحث العلمي.

2- لقد ألغيت المثل القائل : "إنَّ وراء كلِّ رجل عظيم امرأة".

وذلك بإحرازك هذه المكانة العلمية دون إعاقتها. فما السرُّ في ذلك يا

تري ؟

1- في الوقت الذي يهتمُّ النَّاسُ بمسألة الزواج اهتماماً شديداً، وجَّهت اهتماماتي إلى ميادين أخرى لها أُناسٌ أشرافٌ السَّيِّئِينَ مِنْ عَمْرِي إِلَّا أَنَّنِي لَمْ أَنَسْ حَيْزُكَ مِنَ الْوَقْتِ يَخُوْكَ لِي التَّفَكُّيرُ عَلَى رَسْلِي فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَلَوْ كَانَتْ ضَرُورِيَّةً وَحَيَاتِيَّةً لِكُلِّ ابْنِ آدَمَ. وَإِنَّنِّي أَظُنُّ عَلَى ضَوْءِ تَجْرِبَتِي أَنَّ الْعَزُوبَةَ أَصْعَبُ مِنَ الزَّوْاجِ وَأَنَّ الْأَعْزَبَ الَّذِي يُؤْمِنُ بِعَزُوبَتِهِ بَعْدَ اخْتِيَارِهَا وَالْإِرْتِيَاحَ إِلَيْهَا يَتَوَجَّبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّسِمَ بِالْإِتِّزَانِ وَالتَّعَقُّلِ وَالتَّعَالِيِ وَاحْتِمَالِ الْوَحْدَةِ عَلَى أَنَّ هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّنِي أَدْعُو إِلَى الْعَزُوبَةِ وَلَا أَشْجَعُ عَلَيْهَا ذَلِكَ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْوَضْعِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَنْحَصَرًا فِي أَنْاسٍ مَهِيئِينَ إِلَيْهِ قَادِرِينَ عَلَيْهِ.

2- وفي الختام، هل لك أن تزيج الغطاء عما تعتمزم إنجازاه من

المشاريع المستقبلية ؟

1- ميدانان هامان يستقطبان اهتمامي في المستقبل أولهما ميدان البحث وثانيهما الميدان الجامعي.

أ- ميدان البحث

أهم ما أعتزم القيام به في ميدان البحث نشر كتاب يجمع جميع الأبحاث التي قمت بها بإعانة أعضائي وهي تبين بصفة شاملة علانق السرطان عافى الله الجميع منه، بالنسبة للرجل والمرأة في تونس وكيفية توزعه في الجسم.



ب- مشاريع الجامعة

أهم ما أفكر فيه إنما هو في طاقة الاستيعاب بالنسبة لبعض مؤسسات التعليم العالي مثل كلية الحقوق وكلية الآداب بسوسة وكلية العلوم بالمنستير حيث يجب أن تنمو هذه الطاقة من 1500 إلى 4000 طالب في كل مؤسسة وهذا يكون إن شاء الله في فضاء السنوات الأربع القادمة. وإلى اللقاء في حلقة قادمة إن شاء الله والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

النهاية

الدورة الخامسة لمهرجان الربيع الأدبي

ببوسالم

إعداد لزهـر النفـطي

برعاية خاصة من السلط الجهويّة والمحليّة بولاية جندوبة وبتظافر جهود المشرفين على حظوظ الثقافة بمعتمدية بوسالم وفي ظل الوفاء والعرفان للإبداع والمبدعين التأمّت أيام 2-3-4 ماي 1991 الدورة الخامسة لمهرجان الربيع الأدبي ببوسالم تحت شعار "المقاومة في الأدب العربي". وقد سمّيت دورة هذه السنّة بإسم الشاعر المرحوم يوسف الورغي تكريماً لروحه وإكراماً لما قدمه الفقيه للمكتبة الوطنيّة والعربيّة من نصوص جيّدة مدّها شرايين وجسور من الماء إلى الماء تحمل المعشوق والموفاء لكلّ شبر من الوطن العربي الكبير.

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ثمّ أفتتاح هذه التظاهرة الثقافيّة الرائدة بالقاعة الكبرى بدار الثقافة ببوسالم بزيارة أدتها إطرارات ولاية جندوبة والمشاركين في مهرجان الربيع الأدبي لمعرض الكتاب ومعرض الفنون التشكيلية للرسام الواعد عادل الوسلاتي وذلك ببهو دار الثقافة. ثمّ انطلقت فعاليات الدورة الخامسة بالحلبة العلميّة الأولى برئاسة الشاعر عبد الله البلطي صاحب ديوان "رؤى وأصابع"، وقد تمحورت حول حياة الشاعر يوسف الورغي وأعماله الإبداعية إذ قدم خلالها الأستاذ عادل العرفاوي صاحب كتاب "خمس دراسات حول جندوبة" مداخلة قيّمة حول حياة يوسف الورغي ومسيرته الأدبيّة، كما قدم كاتب هذه السطور قراءة نقدية معمّقة لديوان يوسف الورغي (البحر يجامل قرصانه)، وقف فيها عند محورين رئيسيين في هذه المجموعة الشعرية هما الفنّ والوطن في هذه المدونة. وقد تحلّلت المداخلتين مرثية "لا

يموت الشعراء" ألغاه الشاعر علالة القنوني صاحب ديوان "يرفض البحر أن يكون جدولاً"، كما تخللتها كلمة الأستاذ العروسي المطوي رئيس اتحاد الكتاب التونسيين والأمين العام لإتحاد الأدباء العرب. وفي السهرة حضر المشاركون بدار الثقافة مسوحية "جنة على الرصيف" قدمتها الفرقة المسرحية المحلية ببوسالم.

أما الجلسة العلمية الثانية فقد نُظمت زوال الجمعة 3-5-91، برئاسة الأستاذ شريف حمدي، قدم خلالها الأستاذان يوسف الحناشي وعلالة القنوني دراستين تمحورتا حول المقاومة في الأدب العربي، عنون المحاضر مساهمته بـ "المقاومة في الشعر الفلسطيني المعاصر": محمود درويش نموذجاً، إذ ذُكر المحاضر في البداية بأدب المرحلة التي امتدت بين 1917 و 1948 وهي المرحلة التي بدأت بوعد بالفوز، وأنتهت بالغزو الصهيوني لأرض فلسطين وأوزت تجربة إبداعية قامت على الدعوة للهجاء وفصح التواطؤ الأنقلازي مع حركة الهجرة الصهيونية. من أقلام تلك المرحلة ذكر الأستاذ يوسف الحناشي إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود أبو سنة ... وقد تميّزت تلك التجربة بشعراً عاطفياً ملتزم. وفي مرحلة أخرى اعتمد المحاضر على تجربة محمود درويش الشعرية من خلال مجموعتين شعريتين "عاشق من فلسطين" و "أعراس" كتبها درويش في المرحلة الأولى من تجربته وتكمن أهميتهما في أنهما كتبا في الداخل وفي الخارج ذلك أن "عاشق من فلسطين" كتبت بالسجن داخل الأرض المحتلة و "أعراس" كتبت بالمنفى وفيهما نلمس صورة الأرض وصورة الحبيبة وصورة المطر وصورة الرّمز، كما نلاحظ فيهما العلاقة القائمة بين الشاعر والأرض وهي علاقة متأججة في نفس الشاعر داخل الأرض المحتلة وخارجها. وهي حالة تتحوّل في ذات الشاعر إلى حركة تقاوم السكون والجمود وتصبح حافزاً على التحرير والدعوة إلى النضال.

وفي سياق أدب المقاومة تمحورت محاضرة الأستاذ علالة القنوني حول أدب للمقاومة في تونس قبل الإستقلال وذلك بالرجوع إلى نماذج حية من أدب المقاومة التونسية في فترة الإستعمار إذ ذُكر بقصائد سعيد أبي بكر والشابي والشاذلي خزندار ومصطفى خريّف وحسين الجزيري ومنوّر صمداح وكتابات الخذر حسين وصالح السويسي وعلي الدوعاجي ونظام الحدّاد. وهذه كتابات ساهمت بقسطها الوافر في تغذية الحرّية الوطنيّة وإنكاء الشعور الوطني بتحريك السواكن وإيقاظ الهمم. كما ذُكر المحاضر بحادثة الزلاّج سنة 1911 والمؤتمر الأفخارستي سنة 1933 وحوادث 9 أفريل 1938 ومدى أثرها على الأقاليم الوطنيّة في تلك الحقبة الحالكة من حياة المجتمع التونسي، وختم المحاضر مساهمته بقوله "نشأ الإنسان ونشأت معه المقاومة".

وفي المساء أحتضنت القاعة الكبرى بدار الثقافة ببوسالم أمسية شعريّة رائقة شارك فيها الشعراء عبد الله مالك القاسمي، علالة القنوني، عبد الله البلطي، لزهر النطفي، بلقاسم اليقوبي، نور الدين بن يمين، يوسف بن حمادي بالإضافة إلى مشاركة أصوات شعريّة وأعدة تحتضنها دور الثقافة بولاية جندوبة نذكر من بيتها فؤاد مجدي وعادل المعيزي وأنيس العياشي، وقد حضر هذه الأمسية جمهور عريض من عشاق الشعر وأدار الأمسية بلباقة ولطف الأستاذ عبد الستار المعروف في مدير دار الثقافة ببوسالم الذي واكب فعاليات مهرجان الربيع الأدبي لحظة بلحظة.

وفي صباح السبت 4-5-91، نظمت لجنة المهرجان رحلة سياحيّة شيقّة لضيوف هذه التّظاهرة الثقافيّة إذ تمّ خلالها التعرف على معالم النهضة الفلاحيّة بالجهة وشواهد هذه النهضة متعددة وقفنا معها عند ضيعة الهادي خليل المثالية ومعمل إنتاج الألبان ومشتقاتها ومركز تكوين ورسكلة الإطارات المختصة في تربية الماشية والغراسات المتنوعة والزراعات الكبرى، ناهيك عن زيارة ثلة من الشعراء لمنجم بوعوّم وإقامة أمسية شعريّة هناك بين عمّاله.

وفي الجلسة العلمية الختامية قدمت الدكتورة رفيقة بالرجب صاحبة كتاب "غسان كنفاني أديب الثورة الفلسطينية" محاضرة حول حياة وأثار غسان كنفاني الإبداعية التي جمعت وطبعت في سبعة مجلدات التحم فيها النص القصصي بالنص الروائي والنص المسرحي فتمخضت عنها تجربة فنية وإبداعية رائدة حطم من خلالها غسان كنفاني جواجز الخطاب التقليدي في كتابة النص العربي وتجاوز مرحلة سرد الوقائع والأحداث والتعليق عليها ودخل في مرحلة توظيف الأدوات الفنية والتقنية الحديثة لكتابة نص إبداعي أرقى تنخرط وظائفه الرئيسية في مدونة الحداثة.

وفي خط متوازٍ قدم الأستاذ مصطفى التواتي محاضرة حول اشعار سعيد أبي بكر ومدى مساهمتها في التوثيق والتأريخ للحركة الوطنية ولاحظ كيفية رسمها للخطوب والملكات التي تناوبت على مجتمعتنا إبان العهد الإستعماري، وذكر المحاضر ببعض النماذج جمعها الباحث أحمد خالد في ديوان "السعيديات".

وفي نهاية الجلسة الختامية قُدمت قراءات شعرية ساهم بها ثلة من الشعراء المشاركين في المهرجان تفاعل معها عشاق الكلمة والحرف ثم وُزعت جوائز المهرجان على الفائزين من الشباب في مسابقة النص الشعري واللوحة الزيتية والصورة الشمسية كما مُنحت جوائز مالية وتقديرية لأعمال يوسف الورغي الإبداعية تسلمها أفراداً أسرته من إيطارات ولاية جندوبة.

ليل

الاهداء إلى امرأة ارتحلت مساء

شعر محمود البش

القائم كوني ألبــــــــــــد
غريق في الداجي الاســــــــود
يغشاك الليل ليشمــــــــدك
غياب النور على الفرــــــــد

* * * *

ويدجي الليل وفرــــــــد
تبقى الساهر الابرــــــــد
تماهي الليل دكنتــــــــة
وجوما قاحلا انكــــــــد
بلا قمر يطالعــــــــك
ولا فلك به تهتــــــــد

* * * *

لا قدر يعاضــــــــدك
ولا أمل به ترفــــــــد
وحيد في نوائــــــــك
سقيم جاني المرقــــــــد
مضت يسر بلا سبــــــــب
واعلن حزنه المشــــــــد
بكى الليل لفرقتــــــــة
فهل يسر التي تغفــــــــد !

سليانة 13/7/1990

صفحات أدبية

يشرف عليها الأستاذ :
عبد المجيد زين العابدين

لئن رحبت مجلة "الإتحاف" بكتابات أحبائها من الشباب الذين هم بصدد البحث عن طريقهم إلى الإبداع الحقيقي، فاحتضنت بواكير إبداعاتهم وعفوي خواطرهم وخلجات أنفسهم وخفقات قلوبهم، فلا يعني ذلك أن فن الكتابة لديهم استقام وأنهم متهيئون أكثر من أي وقت مضى إلى التحرير والإبداع، بل ربّما لا نروم من خلال ذلك إلا وضع هؤلاء الأحباء أمام مسؤوليتهم الإبداعية أي أننا بصورة أخرى، ثبتّ فيهم الوعي لما يجب أن يكونوا عليه مستقبلاً انطلاقاً من اكتشافهم لمواهبهم بأنفسهم وانتباههم إلى درجات ظهورها وإلمامهم بما من شأنه يفتقر طاقاتهم ويكشف عن مستوياتهم الحقيقية. ولهذا فإنّني نشر أقصيدة أو جعل شعريّة أو أقصوصة لأحد هؤلاء الأحبّة أبعاداً تربويّة توعويّة وثقافيّة أكثر ممّا تمثله هذه الأعمال أو المحاولات في الحقل الأدبي أو تعرضه من الومضات الفنيّة والإبداعية. أليس في بادرتنا هذه دعوة هؤلاء إلى الاجتهاد في تأكيد مواهبهم وقدّراتهم بالحفظ والتغنّي ببعض أشعار شعراء اليوم أو شعراء الأمس تارة وبالمطالعة والممارسة المتبصرة تارة أخرى. فليتعبوا أنفسهم كثيراً كثيراً ماداموا مهيّئين إلى مثل هذا التعب اللذيذ. وليتأملوا فيما قال شاعر الحكمة أبو الطيب المتنبي : «وَإِذَا كَانَتْ النَّفُوسُ كِبَاراً

تَعِبَتْ فِي مُرَابَهَا الْأَجْسَامُ»

أجل. إنهم في سنّ يلدّ فيها تعب الحفظ والفهم والاستيعاب والأخذ والتقليد أكثر من أي عهد آخر، فلتكن نفوسهم كبيرة ومطامحهم عريضة، وعندئذ يتوجّب عليهم خوض الجهاد في سبيل الإبداع الحقّ وبالتالي تحمل

التعب، فما أحلى أن يتَّعَبَ المرءُ ليريح الآخرين وأن يشقى ويحтар ويبحث
ليبحث فيهم أسباب السعادة والطمأنينة والهداية؛

* إلى الشاب رابع مجبري (الصوابعية بالقيروان)

لا أتذكر أنني قرأت لك فيما مضى بعضاً من شعرك، إلا أن قصيدك "أمي"
يدلُّ دلالة واضحة على أنك تتمتع بأذن موسيقية. فقد اتبعت في قصيدك
مجزوء الوافر وكنت له رفياً في أغلب الأبيات وهذا يعدُّ كسباً معنوياً ذا
بال بالنسبة إليك في مثل هذا العصر المتقلب والعابث بالقيم والموازين
الرَّصينة المعهودة. أمّا ما وقعت فيه من الأخطاء المتعلقة بالوزن ففي الأبيات
الأول والعاشر والحادي عشر والسادس عشر، أكتفي بإحالتك على كتّيب
"العروض المختصر" لنور الدين صمود أو أحد الكتب العروضية المتاحة حتى
تقدر على إصلاح الخلل الإيقاع. سقت إليك هذا التوجيه ثقة مني في طاقاتك
في هذا الفن، وأنتَ لو عُنيت بها تهذيباً وتنمية لرقب إلى مستوى الشعر
الحقيقي في قادم الأيام، أنشر لك القصيد بعد بعض الحذف والتحوير.

ARCHIVE

http://Archive.sakhril.com

مهدة إلى الأتخوانة التي لم أنعم بشذاها

بَشْرٌ لَا كَالْبَشْرِ	قُرَّةُ الْعَيْنَيْنِ أُمِّي
زَمَنُ يَعْوِي الْقَسْدُ	أَنْتِ يَا قُرَّةَ عَيْنِي
لَكَ فِي الْقَلْبِ مَقَرٌ	قَدْ حَوَاكَ الْقَبْرِ لَكُنْ
لَا تُسَاوِيهِ الدُّرُ	أَنْتِ فِي قَلْبِي وَسَامٌ
أَيْنَ مِنْ قُدْرِي الْمَقَرُ ؟	قَدْ حَمَلْتُ الصَّبْرَ لَكُنْ
قَدْ رَعَانِي فِي الصُّفْرِ	أَنْتِ يَا أُمِّي مَلَاكُ
لَا أَعْي سَحَرُ الْقَمَرِ	عَنْدَمَا كُنْتُ غَرِيْباً
دُونَ غَيْمٍ يَنْهَمِرُ	مَطَرٌ أَنْتِ وَرَبِّي
لَسْقُوطٍ وَأَنْدُكُ	ذَاكَ عَهْدٌ قَدْ تَدَاعَى
هَلْ تَوَاسِيهِ الْآخِرُ ؟	قَدْ يَنُوحُ الطَّيْرُ لَكُنْ

د - م

* إلى الأنسة سعيدة الشعلي

إنّ قصيدتك التي بعثتها إلى مجلتك "الإتحاف" لا تخفي رقة إحساس وفيض مشاعر ورؤية إلى المحيط أساسها شيء من القنطرة غير قليل إلا أنّ كل هذه العواطف والأحاسيس والخواطر التي تتوفّر في عليها لا تكاد تقيم الصلة بينها وبين الشعر من حيث الإيقاع في سوى هذه الأسجاع التي تطالعنا في أواخر بعض الأسطر، وهذا لا يتمّ عن استعداد قوي لنخوض غمار الشعر خاصّة وأنت في مقتبل الشباب مهية إلى الحفظ والمطالعة والتقليد الإيجابي الذي يتيح لك فرص الانسجام مع الشعر الحقيقي. إنّ الصيف أمامك وأوقات مطالعة الأشعار المتينة سائحة فاقتنصي الفرصة لحفظ ما أمكنك وما من ريب في أنّك ستلاحظين معي بصورة جلية في نهاية هذا الفصل أنّ إفادتك غير قليلة من هذا التوجّه : ننشر لك بعض ما جاء في قصيدتك : «أعود إليك قبري» تشجيعاً.

- أعود إليك قبري -

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أعود إليك قبري/بعد أن مزقنتي الحياة/أعود إليك قبري/بعد أن صفعني الزّمن/أعود إليك قبري/يجرح ينزف لا يندمل/ أعود إليك قبري/أقتل جثتي من الوحل/

أعود إليك قبري/ودموعي تنهمر/أعود إليك/وقلبي بين أضلعي يحتضر/أعود إليك/بعد أن انتصر الحبّ بداخله لا بل قتل/أعود إليك فاحتضني علني أجد فيك ما غاب عني وأفل/

س - ش

* إلى الشاب رضا العباسي (حاجب العيون)

إنّ قصيدتك الممهورة بعنوان : «من أهّازيج البلابل» تتوفّر على لغة شعرية

ذات ألق ونزعة إلى الجزالة، كما أنها تحمل صُوراً شعريّة جميلة فيها جدٌ وطرافة، إلا أنّ التفعيلة الواحدة تُغيب في جلّ جملك الشعريّة، ولكن تتّضح ملكتك الشعريّة في هذا الصنف المتحرّر، أنصحك بمطالعة أشعار أصحابه اللامعين وهم أكثر في عصرنا هذا، ننشر لك قصيدتك

- من أهازيج البلابل -

قَسَمًا بدمي المرجاني/الذي أنساب بين أناملي/لن يعيش المنفى/بداخلي
!!!/مادام دمي/يجرف قاتلي/مادام القمح اللؤلؤي/يتجمهر في سنابلي/مأ
أحلى شمس قنابلي!!/حين أُمْنَح للوطن أهزوجة/من صرير
سلاسلي!!!/يصدح الحمام/وتشدو بلابلي/يمنحني بلسما لجرح قاض/على
كل سواحلي/وحتما يتعطّر وطني/بالورد والريحان/وبعشب خمائلي!!!.

د - ع

ARCHIVE

<http://ArchiveBeta.Saqr.com>

* إلى الأنسة ليلى الحاجي

قد قرأت لك قصيدتك : «صرخة ونداء» وحاولت إن أستخلص منها ما يدلّ على أنّك مهيأة إلى قول الشعر والخوض في رحابه إلا أنّ شينا من ذلك لم يتيسّر لي، وكل ما أتيح لي من ذلك إنّما هو جيشان العواطف واضطرابها والشعور بالثورة تارة وبالانهزام والتداعي تارة أخرى وهذه عواطف يشترك معك فيها جميع الشباب في مثل هذه السن، إلا أنّ ما يمكن أن يميّزها على غيرها إنّما يتمثّل في حسن صياغتها ونقاوة عبارتها ... وهذا غائب في نصّك الذي هو بين أيدينا، أقول لك هذا يا ليلى إيزانا مني لك بأنّ جهاداً كبيراً ينتظرك إذا أنت أصررت على مغامرتك في ميدان الشعر. اخترت لك من «صرخة ونداء» ما يلي :

- صرخة ونداء -

ثوري يا عاصفة نفسي
ثوري لا تهدني ...
ثوري على القدر اللعين
فقد كبّل بالأسى نفسي

ل - ح

* إلى الشاب سمير الخالدي (قلاية - جربة)

جميل أن تقلّد يا سمير أحد الشعراء الذين يتوفّرون على تجربة وممارسة
طويلة للشعر ولكن أجمل من ذلك أنك تقلّده فيما تقدر على استيعابه
وفهمه فقط وفيما لا يخرج من تراكيبه وألفاظه عن الاستعمال المعهود ذلك
أننا نخوّل له ما لا نخوّل لك ونستسيح منه ما إذا صدر عنك عدوئاه غريباً
ركباً بعيداً عن حقل الاستساغة والاستحسان. ننشر لك لوحتك بعد
تنظيفها وعنوانها :

ARCHIVE

<http://Archive.net/Sakhr.com>

- تداعيات -

يَتَدَاوَى الْجَسَدُ الطَّيْنِيُّ
يَتَوَحَّدُ فِي الْحُلُمِ الْمَهْدُورِ
وَيُعَايِي الطِّفْلُ قَبِيلَتَهُ

* * * * *

يُزْهِرُ الْحُلُمُ وَيُثْمِرُ
وَتَرَى الطِّفْلَ يُغْنِي
« غَدَايَا صَدِيقِي...
يُولَدُ الْوَطَنُ. »

وَالْقَبِيلَةُ مُفَرَّقَةٌ فِي الْبُكَاءِ !

* * * * *

يُعْزَفُ اللَّحْنُ كَثِيرًا
وَيَعُودُ الرَّبِيعُ لِلصَّبَايَا
بِلَا وَرُودٍ أَوْ طُيُورٍ أَوْ ... رَبِيعٍ !!
وَسَافَرُ طِفْلٌ مُنْتَصِرًا
فِي الْبِلَادِ ...

س - خ

* إلى الصديقة أمانى الغربى (تلميذة القضية العربية)

لقد سمعت كثيراً عنك أيتها الصديقة أمانى على أنك تلميذة القضية العربية آخذاً بادئ ذي بدء كنيك هذه مأخذ الهزل، إلا أنني عندما قرأت لك أكثر من موضوع استقام لدي أنك ملتزمة بمعالجة القضية العربية فعلاً دون سواها. هذا الالتزام من قبلك محيرٌ ذلك أنه في مثل سنك ننتظر أن تتنوع المواضيع التي تطرقينها والقضايا التي تعالجينها. إلا أن هذا الالتزام ولئن بدا منك مبكراً، فإن له فوائد وأبعاداً. أنشر لك هذه المرة أقصوصتك الممهورة بعنوان: "عروس الوطن"، ورجائي منك مستقبلاً مراجعة أعمالك وتنقيتها من الأخطاء.

عروس الوطن

بعيدا... بعيدا عن كل بعيد كان يصطاد العصافير ومرت من أمامه كالحمامة كالزهرة اليانعة... إنها من قريته... نظر إلى الأرض طويلاً متأملاً سمرتها ورائحتها الطيبة... نعم تنقصها رائحة السلام... رائحة الحرية... فجأة تذكر صديقه "كمال" وزوجته "أمال" هنا دفن أباهما ودفنت معه حمامة السلام في ليلة حالكة السواد بردها قارس عند ذلك المكان النائي ويشير إلى الأرض المسروقة... اغتال أباهما وسجل اسمه في دفتر الشهداء بمادة الحجر وبعدها خرج أخوها يبحث عن الحرية قال لها "لن أعود يا "أمال" إلا

والحجر يرفرف في سماء الحرية» ولكنه عاد وقد لبس الكفن الأبيض
واغسل بماء القدس... لقد بقروا بطن أختها الحبلى وسرقوا منها الأرض
وكبرت "أمال" وفي صدرها حماسة تريد الطيران... توجهت نحو زوجها بكل
إصرار... «اعرف يا "كمال" أنك تستطيع مواجهة الغزاة فدافع عن أرضك
المسروقة... عن...» وتوالت الأيام مسرعة وهو يتنفس دخان القنابل...
اختنق كاد يموت... لكنه استيقظ في لحظة إصطلام...

- «ساخرج يا "أمال" فقد تفجرت بداخلي الثورة فأبعثني لي كل حجر
القدس... وهيا معي فالأرض لنا ونحن لها...»

- «لا تحزن يا حبيبي فقد ترك لي أخي قبل رحيله كومة حجر وغصن
زيتون... ولكنه تركها في الزمن الرديء... زمن الحاقدين... زمن الذين
يدعون الحضارة... ولكننا سنرفع الغبار ونرمي الحجر... إنَّه زمن الحجر...»
وانطلقا يجريان بسرعة البرق... والثورة تتأجج أكثر في قلوبهما وحب
الوطن زرع في عروقهما... لقد كانا أسعد زوجين في العالم... وفي يوم
طلعت فيه الشمس حمراء مثل لهيب النار خرجت "أمال" وبيدها
البندية... إلى ساحة القتال... بعد أن شل "كمال" ...
- «حبيبي... "فداء" و"كرامة" وأمانة عندك...» وأنهمرت الدموع بقوة...
ضمت ابنتيها إلى صدرها.....

- «لا تحزنا على رحيلي... فقد لقننكما جل الدروس الوطنية لتواصلوا
المشوار...» غادرت المنزل مسرعة... قاتلت... صرخت... واحتضنت الموت
بكل شجاعة... عانقت الموت بعد أن سالت دماء الغزاة ورحلت "أمال" وبقيت
روحها معلقة تنتظر النصر وعانق جسدها الأنثوي صدر الأرض الذي
ينتظر القدر... رحلت بدون موعد رحيل... بعد أن تعلمت أن كل قطرة دم
خطوة أخرى على درب الحرية... بعدها مات "كمال" ولم يبق من العائلة
الفدائية... إلا "فداء" و"كرامة" وصديق العائلة... جعلوا الحجر بئر إصرار
ودافعوا عن الشرف... عن القضية...

أ - غ